

السيد محمد علي الحلو

الملتحقون بسفينة النجاة

قراءات فى الانتماء المعرفي

الملتحقون بسفينة النجاة

قراءات في الانتماء المعرفي

السيّد محمد علي الحلو



الطبعه.. الأُولى ١٤٢٤هـ. ق /٢٠٠٣م

المطبعه.. مطبعة محمد

عدد النسخ.. (٥٠٠) نسخه

الإهداء

إلى كلّ حرٍّ . .

يستشعر حرية الانتماء . .

ليتحرّر من عبودية الانتساب . .

أُهدي تجربة أجيالٍ عزّ عليها أن تتأخّر دون أن تلتحق بسفينة النجاة..

المقدّمة



الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين .

تُعدّ قراءة التاريخ الإسلامي ضرورةً مُلحةً في خضمّ الواقع المعاش ، فضلاً عمّا يكشفُ عن مرحلةٍ حاسمةٍ من الأحداث التي توقّف عليها مصير أُمّة أو هويّة فرقةٍ ، أو فلسفةُ جماعة ، أو توجّهات فردٍ شارك في تلك الأحداث الهائجة ، أو طالتهُ تلك الوقائع المائجة ؛ بمصالح حاكمٍ ، أو سياسةِ نظامٍ ، أو مطامعِ جهةٍ أحالت الحقيقةَ أُسطورةٍ ، والخيال واقع ، أو استمكنت من غوغاء النّاس لتُنفِذَ في أوساطهم ، وتشرأبَ طموحاتها لرغباتهم .

وعلاقة الماضي بالحاضر علاقة تعايشٍ تمتدُّ جذوره بامتداد زمنٍ عتيدٍ من الأحداث ترتسِمُ ملامحها على صفحات تاريخ مقروءٍ حيناً ، أو معاش في خضمّه أحياناً أُخرى ، وكأنّ القارئُ لهذا التاريخ كالشاهد فيه أو الشاهد عليه ، فهو بقدرِ ما يقرأه يعيشه ، وبقدرِ ما يعيشه يشاركُ في صناعته ، ويبادرُ إلى صياغته ، ويُساهِمُ في حيثيّاته من حيث هو إنسانٌ مستقلٌّ عاقلٌ رشيد ، لا من حيث هو تابعٌ ساذجٌ عنيد ، ومهما بلغ بالإنسان الزهو في انتسابه ، يجتذبه الحقُّ إلى انتمائه .

وبين أيدينا نماذج نورٍ اتّبعت الحقّ في غفلةٍ عن عصبيّتها ، واتباعٍ لداعي فطرتها ، تلتمسُ طريق الهداية في خضمِّ صراعاتٍ تتجاذبها بأهوائها ،

أهل البيت عليهم السلام ، ودونهم فتبقى عاجزة عن معرفة هذا الدين وشؤونه وحيثيّاته؛ لقوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ** ﴾[1].

قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام : «نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله».

وهذه الآية هي أدلّ آية على تحديد «الانتماء المعرفي» لدى الفرد ومحاولة ترشيد انتماءاته من خلال ترسيم معالم الأخذ والاصغاء اللتان تشكّلان اليوم أهمّ تحوّلات المعرفة على الصعيد الفردي، بل وحتّى الجماعي كذلك.

وليست هذه دعوة للانتماء الفكري مجرّدة عن الواقع، بقدر ما هي حقيقة مثلت أمامها أجيال المعرفة إبّان الدعوة الإسلاميّة التي من شأنها أن تخلق «إنسانها الجديد» بكلّ حوافزه المعرفيّة، ودواعي التطلّع إلى آفاق هذا الكون الرحب الذي يلفّ معه معادلات بقيت ألغازاً لم تتكفّل الإجابة عنها من الديانات السماوية السابقة عدا ما تقتصر على محور التوحيد والعبادة لله تعالى، وعلى أخلاقيّةٍ تكفل نبذ الشرك والعبودية لغير الله وحده، ويأتي الدين الإسلامي يحمل معه هموم الإنسان وتوجّهاته، بل آماله وتوجّساته، ليعيد صياغة الإنسان من جديد بما يعرضه من ملاحم المعرفة مدخّراً معها إجابات على تساؤلات يحيلها من ألغاز إلى مسلّمات، ومن هواجس إلى حقائق تعيش معه ويعايشها في كلّ حين.

هذه الملحمة الفكريّة التي يقدّمها الدين الجديد باتت منطلقاً لرؤية جديدة

---

(١) آل عمران: الآية ٧.

لهذا الكون، ومثاراً لتطلّعات معرفيّة جديدة، وبقيت مشكلة المسلم تتّخذ نطاقاً آخر في ضوء هذه المتغيّرات، فمن «برمجة المعرف» التي كان يفتقدها العقل الإنسان إلى مشكلة «الانتماء المعرفي» التي -إن لم يحسن اختيارها- تفقده الشيء الكثير، بل تحيله إلى منهجيّة التقاطيّة في المعرفة الإنسانيّة التي هي فرع معرفته الدينيّة الكونيّة.

أي ستكون مشكلة المسلم بعد ذلك هي محاولات التشخيص في اختيار المسلك الفكري، أو المشرب المعرفي الذي من شأنه أن يُشبع فضوله وتطلّعه الديني.

هذا ما قصدناه من إشارتنا لتوجّسه بعد أن بيّنا رشده ونضوجه، أي ستكون مشكلة الانتماء المعرفي هي المشكلة الشاخصة في ظلّ هذه التيّارات الفكرية وعلى مدى تاريخ الإنسان المسلم منذ الدعوة الإسلاميّة.

في غضون التغيّرات التي شهدها العالم إبّان الثورة الصناعيّة شهدت عدّة معادلات تغيّراتها كذلك، فلم تكن هي ثورة تكنولوجية بقدر ما هي ثورة اقتصاديّة، وتحوّلات اجتماعيّة، ومتغيّرات فكريّة، أي استتبعت هذه المتغيّرات في الآلية الصناعيّة إلى متغيّرات في آليات الفكر والثقافة كذلك.

وتستوعب هذه الثورة الصناعيّة ثورات الفكر والاجتماع، وتترك تأثيراتها حتّى على العلاقات العامّة بين الأفراد لتمتدّ تطوّراتها بين المجتمعات كذلك.

وفي أواخر القرن العشرين بدأت بوادر «الثورة المعلوماتيّة» تظهر في أُفق المجتمع العالمي بعد أن كانت تحدّد هويّتها علاقات المجتمعات تبعاً للمعادلات الدولية المتغيّرة سريعاً، ثمّ تتفجّر هذه الثورة إلى حالة عالميّة من المعومات، ثمّ توجّه إلى علاقات عالمية تتحكّم فيها «عولمة» الاقتصاد إلى «عولمة»

المعلومات والعلاقات الدولية إلى عولمة الفكر والثقافة، سواء على الصعيد الفردي أو الاجتماعي، أي انّ الفرد المسلم يعيش اليوم وسط ثورة معلوماتيّة متسارعة تأخذ «بزمام» مجتمعات كاملة لتحيلها تابعة تبعاً لتكنولوجيّاتها المعلوماتيّة، وتحيل المجتمع العالمي إلى قرية صغيرة يرتبط غرب الأرض بشرقها في لحظات «اتّصالاتيّة» تفوق تصوّرات ذهنيّة الفرد الذي ينكفأ على تقليديّاته وسلوكيّاته الساذجة.

إذن يُعدّ الفرد المسلم جزءاً من هذه الثورة المعلوماتيّة، أي في خضمّ هذه المعادلات المعلوماتيّة يشكّل رقماً له تأثيراته البالغة على حساباتها، وإذا كان البعض متوجّساً من عولمة الثقافة والفكر فذلك شعور بالخيبة أن يُزجّ العالم الإسلامي في مثل هذه الثورة الهائلة من التكنولوجيا المعلوماتيّة، فالتوجّس الذي يستشعره البعض في التعامل التقني المعلوماتي بحجّة «الانخراط السيئ» في خضمّ هذه الثورة وما سينتج من العواقب السيّئة عند ذلك، فإنّ هذا البعض ـ وإن كان منطلقاً من الحرص والإخلاص ـ إلّا أنّ توجّساته لا تُعدّ مبرّراً في نفسها من أجل حجر المجتمع الإسلامي متقوقعاً ضمن علاقاته الخاصّة دون الانفتاح على الآخر.

وإذا كنّا والآخر لا تربطنا قواسم مشتركة ـ في حدود التقنية المعلوماتيّة على الأقلّ ـ فإنّ ذلك سيزيد من واقع توجّساتنا ليحيلها إلى حقائق نتعامل معها ـ فيما بعد ـ تابعين غير متبوعين، فعدم الانفتاح ومحاورة الآخر يوشك بنا أن ننغلق على أنفسنا، وننكفأ على ذواتنا غير جديرين من «ملاحقة» ذلك الكمّ الهائل من المستجدّات اليوميّة المتسارعة والخاطفة، ثمّ نسير الهوينا لنتابع ما جرى في الساحة العالميّة من حدث أو مجريات. وليست هذه دعوة لأن ننسلخ عن ذواتنا

وقيمنا وثوابتنا، بقدر ما هي دعوة لإعادة الثقة في نفوسنا، فنحن جديرون في التعامل مع الآخر على أساس التبادل المشترك في وجهات النظر المختلفة، وليس على أساس التبعية الفكرية أو الاستعمار الثقافي.

إنّ ثقتنا بمبادئنا يدفعنا إلى محاولة فهم الآخر على أساس ما نتمسّك به ونعتزّ به من قيمنا الأصيلة.

لماذا هذا التوجّس ونحن نملك ديناً يضمن لنا أن نقتحم الطرق الوعرة بنجاح، فما بالنا ونحن نتعايش في زمن حضاري يتطلّب منّا جهداً «عادياً» للحوار مع الآخر، فنستعرض بذلك حضارتنا التي يستذوق حلاوتها الجميع وتأنس إلى نغماتها كلّ فطرة؟!

ويسعى الإنسان بكلّ جهده للبحث عن ذاته المضيعة في خضمّ صراعات فكريّة شهدها العالم منذ خليقته، ويبدأ الصراع بين الخير والشر، في ملاحمه الطويلة، فتيّار الخير الذي يمثّله آدم عليه السلام يتغلّب على نزعات الشرّ والعدوان الذي سيكون الشيطان مصدره ومنتهاه، وكلّما حاول هذا الشرّ أن يغوي آدم عليه السلام خسر الجولة وفشل محاولاته عند ذاك، فإنّ لآدم عليه السلام انتمائه المعرفي الإلهي الذي لم يخيّبه لحظة واحدة في كلّ حين من أحايين هذا الصراع، فقوله تعالى: ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾[1]، فهي إشارة واضحة إلى هذا الانتماء المعرفي الذي سيكون المصدر الوحيد لمعرفة آدم «بالأسماء»، وقد اعترف الملائكة من قبل ذلك بعجزهم عن

---

(١) سورة البقرة: الآيتان ٣١ و ٣٢.

استقلالهم في المعرفة، وعلمهم من دون ما يعلّمهم الله تعالى، فقد حدّدوا انتماءاتهم المعرفيّة وأوكلوها إلى الله تعالى.

وتشهد الأرض أوّل مرّة ذلك الصراع الدامي بين الانتمائين، بين الانتماء الإلهي المعرفي الذي مثّله هابيل، وبين اللّاانتماء أو الانتماء الشيطاني الذي آل أمره إلى الانتقام من هابيل وقتله، والقرآن الكريم يصوّر لنا هذا المشهد الدامي الحزين: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾[١].

فالصراع بين انتمائين أو بين الانتماء واللّاانتماء، سيكون فاتحة عهد الإنسان وهو يعيش على ظهر هذه الأرض، ولم يغفل القرآن الكريم أن يشير إلى أهمّية الانتماء، ويشيد بالانتساب المعرفي الإلهي الذي يختاره الإنسان منطلقاً من حرصه على ذلك الكمال المعرفي والرشد الفكري، ثمّ هو ينعى على قابيل في انتمائه الخاطئ، أو اللّاانتماء المعرفي الذي ستكون نتيجته «الأنا» الضيّقة التي تؤدّي بالآخر لتبعده عن أصل وجوده أو محاولة تهميشه على أقلّ تقدير، ويُبرز القرآن في هذه الآيات أهمّية «الانتماء المعرفي» الذي يولي اهتمامه بالآخر

---

(١) سورة المائدة: الآيات ٢٧ ـ ٣٠.

ويتعامل معه على أساس إنسانيّته دون إلغاء أو تهميش.

وبقدر ما تمتدّ مساحة الانتماء المعرفي بامتداد مساحة الوعي والإدراك، تضيق معها حالات اللّاانتماء بعدما يستشعر الإنسان أنّ في اللّاانتماء ضياعه وحيرته، أي انّ التدرّج المعرفي الإنساني يحمل معه حالات الانتماء المعرفي مسجّلة على أساس تصاعد الخطّ البياني للوعي والإدراك الذي ينعم به أفراد النوع الإنساني، وبمعنى آخر فإنّ هذه البيانات التصاعديّة للوعي والإدراك تظهر معالمها واضحة بشدّة إبّان عهد الرسالات النبويّة، فمعالم الوعي الإنسني يتكفّلها الأنبياء لمهمّتهم الإصلاحيّة التي سادت مجتمعاتهم وقتذاك، لذا فإنّ الحقبة الإصلاحية التي نعِمَ بها مجتمع نبيّ الله نوح عليه السلام، يسجّله القرآن الكريم على أنّها فترة إصلاح عالميّة يشهدها العالم وهو يعيش ممارسات تلقّي المعرفة الصحيحة منها أو الخاطئة كذلك، بمعنى أنّ الانتماء المعرفي إبّان عهده الشريف شهد تحوّلات في الجانب المعرفي فأصابه بعض وأخطأها الآخر، وكانت لسفينة نوح عليه السلام أثر في تشخيص الانتماء المعرفي وقتذاك، لذا فإنّ القرآن الكريم سجّل حالة الانتماء هذه مصنّفة على أساس ركوب السفينة وعدم ركوبها، من هنا فانّ السور القرآنيّة في سورة هود تتحشدُ «وثائقيّاً» في تقديم صورة الانتماء المعرفي وتشخيص ممارسة النوع الإنساني بغضّ النظر عن انتمائاته وتوجّهاته، فالسور القرآنية تستعرض لنا بشكل «وثائقي» ناجح سيرة هذه المعرفة لطرفي الانتماء المعاكس، فالذين انتموا إلى نوح عليه السلام لا تربطهم إلّا رابطة الإيمان وعلاقة المعرفة وإن بعدوا في علقتهم النسبيّة، بينما مثّلَ ابن نوح انتماءً خاطئاً، أو اللّا انتماء الذي أودى به إلى الحضيض والهلاك. قال تعالى: ﴿ **قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ**

* وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾[1]. وهذا الصراع الذي تشهده رسالة نوح بين واقعيّة الانتماء وبين اللّاانتماء تُسفر عنه حالة الضياع ومن ثمَّ الهلاك.

قال تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[2]، فإنّ نتيجة هذا الصراع سيُصنّف القوم إلى الانتماء وإلى اللّاانتماء، وسيحدّد هذا الانتماء على أساس الإيمان برسالة نوح عليه السلام والانتساب إليها.

قال تعالى: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ * وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ * وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾[3].

وهنا تتوالى مراحل الصراع بين الانتمائين، بين الانتماء الإلهي الذي ستمثّله

---

(١) سورة هود: الآيات ٣٢ ـ ٣٥.

(٢) سورة هود: الآية ٣٦.

(٣) سورة هود: الآيات ٣٧ ـ ٤٣.

سفينة نوح عليه السلام وبين اللّاانتماءالذي ستشكّله جبهة عريضة من المتمرّدين الذين سيمثّلهم نموذجاً في الانتماء النسبي لنوح عليه السلام دون أن ينتسب إليه معرفياً، وسيكون ابنه الذي يتمرّد على هذا الانتماء ليصفه القرآن الكريم بأنّه عمل غير صالح: ﴿ **وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾(١).

فالعلقة النسبيّة والقرب السببي لا علاقة لهما في تزكية الفرد احذا أخطأ الاختيار في انتمائه المعرفي.

من هنا علينا أن نقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته وتشبيههم بسفينة نوح عليه السلام فقال: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق»(٢).

فالركوب في السفينة وعدم الركوب إشارة إلى الانتماء المعرفي وعدمه لأهل البيت عليهم السلام، والتعبير بالغرق دلالة على الضلالة والضياع، وكأنّ قصّة سفينة نوح عليه السلام وظّفها القرآن الكريم لهذا الغرض، أي مسألة الانتماء وعدمه، وأوضحها النبيّ صلى الله عليه وآله بتشبيه أهل بيته عليهم السلام بسفينة نوح.

من هنا علينا أن نتعرّف بعض الشيء على جهود الانتماء المعرفي الذي بذله الأئمّة الأطهار عليهم السلام في معرفة هذا الانتماء وبيانه للأمّة وهم يعشيون تحوّلات الظرف السياسي المتشنّج ليسيّروا بدقّة الصراع المعرفي لصالح مهمّتهم

---

(١) سورة هود: الآيتان ٤٥ و ٤٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين ـ الحاكم النيسابوري: ١٥١، الحديث ٣. ينابيع المودّة: ٣٠. الصواعق المحرقة ـ ابن حجر: ١٨٤ و ٢٣٤.

ورسالتهم، وبالفعل حقّق جهدهم المبارك تقدّماً واضحاً في احتواء التيّارات المعرفية المختلفة وهي في خضمّ تنافساتها ليحوز انتسابهم المعرفي تقدّماً واسعاً، وقبولاً منقطع النظير بالرغم من تيّارات الفكر المعارض.

وإذا كنّا في الزمن الصعب من الانفتاح على الآخر تبعاً للمعادلات الدوليّة القائمة، فإنّ أئمّة آل البيت عليهم السلام كانوا في الزمن الأصعب نتيجة للمعادلات التي كانت تطرحها الأنظمة السياسيّة الجائرة وقتذاك، ومع هذا فقد أبدى أهل البيت عليهم السلام ـ تبعاً لجدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله ـ «لياقةً» منقطعة النظير في أداء الحوار مع الآخر، وحقّقوا تقدّماً رائعاً في الحصول على نتائج بقيت تشهد له مدوّنات التاريخ.

ولكي تكتمل صورة هذا العطاء فإنّ عرضاً تاريخيّاً لتسجيل هذه الجهود الحواريّة التي امتاز بها النبيّ صلى الله عليه وآله وأئمّة آل البيت عليهم السلام نذكرها كشارات نصر لهذا المجهود العظيم..

قال الصادق عليه السلام ـ في حديث طويل ـ: «ولقد حدّثني أبي الباقر، عن جدّي عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ سيّد الشهداء، عن أبيه أمير المؤمنين صلوات لله عليهم، أنّه اجتمع يوماً عند رسول الله صلى الله عليه وآله أهل خمسة أديان: اليهود، والنصارى، والدهرية، والثنوية ومشركو العرب.

فقالت اليهود: نحن نقول: عزير ابن الله، وقد جئناك يا محمّد لننظر ما تقول، فإن اتّبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفتنا خصمناك.

وقالت النصارى: نحن نقول: إنّ المسيح ابن الله اتّحد به، وقد جئناك لننظر ما تقول.

وقالت الدهرية: نحن نقول: إنّ الأشياء لا بدو لها وهي دائمة، وقد جئناك

للنظر فيما تقول ، فإن اتّبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل ، وإن خالفتنا خصمناك.

وقالت الثنوية : نحن نقول : إنّ النور والظلمة هما المدبّران ، وقد جئناك لننظر فيما تقول ، فإن اتّبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك ، وإن خالفتنا خصمناك.

وقال مشركو العرب : نحن نقول إنّ أوثاننا آلهة ، وقد جئناك لننظر فيما تقول فإنّ اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل ، وإن خالفتنا خصمناك.

فقال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : «آمنت بالله وحده لا شريك له وكفرت بكلّ معبود سواه»[1].

ويستمرّ الحوار بين النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله وبين هؤلاء حتّى ينتهي بأن يسلّم هؤلاء ويذعنوا لحجّته صلى‌الله‌عليه‌وآله.

قال الصادق عليه‌السلام ـ في تكملته للخبر ـ : «فوالذي بعثه بالحقّ نبيّاً ما أتت على جماعتهم إلّا ثلاثة أيّام حتّى أتوا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله فأسلموا ، وكانوا خمسة وعشرين رجلاً من كلّ فرقة خمسة ، وقالوا : ما رأينا مثل حجّتك يا محمّد ، نشهد أنّك رسول الله»[2].

إلى آخر ما احتجّ به رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله من محاججات مع مشركي زمانه.

كما أنّ محاججات الإمام عليّ عليه‌السلام مع الصحابة حول مشروعيّة الخلافة وتحوّلات الوضع السياسي المشحون بالمنافسة والصراع يكشف عن حيوية أطروحة أهل البيت عليهم‌السلام للانفتاح على الآخر بما يضمن بيان الحقّ وكشف الواقع. على أنّ مسائل الإمام عليّ عليه‌السلام لابن الكوّاء أحد الماديّين في زمانه ، وأجوبة

---

(١) و (٢) الاحتجاج ـ الطبرسي : ٢٢ ، الحديث ١.

الإمام الحسن عليه السلام لأهل الروم، وما عُرف به الأئمّة الآخرون عليهم السلام من حوارهم مع أهل الأديان الأُخرى والطوائف الإسلاميّة يكشف بجلاء مدى أهمّية «الطرح المعرفي» لآل البيت عليهم السلام وهم في غضون بناء الشخصيّة الإنسانيّة فضلاً عن السعي لتكامل شخصيّة المسلم كذلك.

ولم يقتصر أئمّة آل البيت عليهم السلام في منهجهم الحواري مع الآخر على مجهودهم الشخصي ما لم يعبّئوا أصحابهم وأتباعهم لمشروعهم هذا، فهشام بن الحكم وهشام بن سالم ومؤمن الطاقّ وأمثالهم ساهموا في ملاحم الحوار هذه، وحقّقوا تقدّماً في هذا المضمار، بل تُعدّ جهودهم محاولات تأسيسيّة للمشروع الحواري الذي أصّلهُ آل البيت عليهم السلام لتُسجّل لهم سابقة هذا المجهور وليكون حافزاً لأتباع آل البيت عليهم السلام فيما بعد، وسيحدّد بالتالي هويّة الانتماء المعرفي للإنسان، ولا أجد أحداً أحرص هذا اليوم من الشباب المتطلّع لثقافته أن يحدّد هويّة انتماءاته المعرفيّة دون أن يعيش «حيرته» الفكرية «وضياعه» الثقافي في خضمّ هذه التيّارات المعرفيّة الالتقاطيّة.

فضرورة المرحلة التي يعيشها إنساننا اليوم تحتّم عليه تحديد دالّة هذا الانتماء المعرفي ليؤسّس عليه توجّهاته الفكريّة والثقافيّة، بل وانتماءاته الإنسانيّة كذلك.

الدراسة المقدَّمة لا تُعدّ بالضرورة كشّافاً كاملاً عن أسماء الملتحقين بسفينة النجاة، وإنّما استقصينا أُولئك الذين انحدروا من أُصول العداء والخلاف لأهل البيت عليهم السلام، أو اشتهروا بنهج الخلاف. أمّا الذين تمسّكوا بولاية عليّ عليه السلام فهم أكثر من أن تحصى أسمائهم، أو تُكشف حقائقهم وتوجّهاتهم.

أبان بن سعيد بن العاص بن أُميّة بن عبدشمس الأموي

من أصحاب عليّ عليه السلام . أبى البيعة لأبي بكر والتزم جانب عليّ عليه السلام عند ذاك ، وقال مخاطباً عليّ عليه السلام : انّكم لطوال الشجر طيّبة الثمرة نحن لكم تبع ، ولم يبايع أبا بكر حتّى بايعه بنو هاشم ، فلمّا بايعوه ، بايعه أبان واخوته.

كان شيعيّاً ، قوي الإيمان ، حسن الدين ؛ إذ لم يأب عن البيعة حينئذٍ إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان.

لم يُقتل في معركة بدر كما زُعم.

واختُلف في وقت وفاته ، نُقل عن ابن إسحاق : أنّ أبان قتل لخمس مضين من رجب سنة خمس عشرة في خلافة عمر في غزوة الشام ، ثمّ نقل عن موسى بن عقبة ومصعب والزبير وأكثر أهل النسب أنّه قُتل في جمادى الأُولى سنة اثنتي عشرة في خلافة أبي بكر ، ثمّ قولاً ثالثاً بأنّه قتل سنة أربع عشرة في صدر خلافة عمر (١).



(١) تنقيح المقال ١ : ٥.

أبو الحتوف بن الحرث الأنصاري

كان رأيه رأي الخوارج، خرج مع ابن سعد إلى حرب الحسين عليه السلام، فلمّا سمع استنصاره وصراخ النساء والأطفال لسماع استنصاره نالته الهداية الأبديّة وتوفيق السعادة، فقال هو وأخوه سعد:

إنّا نقول لا حكم إلّا لله، ولا طاعة لمن عصاه، وهذا الحسين بن بنت نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله ونحن نرجو شفاعة جدّه يوم القيامة، فكيف تقاتله وهو بهذا الحال، نراه لا ناصر له ولا معين، فمالا بسيفيهما بين يديه عليه السلام على أعدائه، وجعلا يقاتلان قريباً منه حتّى قَتلا جمعاً، وجرحا آخرين، ثمّ قُتلا معاً في مكان واحد رضوان الله عليهما[1].



---

(١) تنقيح المقال ٢ : ١٢.

أُخت السندي بن شاهك

كان السندي بن شاهك من أتباع هارون الرشيد، كُلِّف من قِبله بسجن الإمام الكاظم عليه السلام، وكان قد ضيّق عليه، بل يُعدُّ سجن السندي بن شاهك من أشدّها على الإمام عليه السلام، ومع هذا فإنّ أُخته قد اطّلعت على حال الإمام عليه السلام وانتهت إلى القول بإمامته حين اعترفت بعبادته وزهده وورعه حتّى تيقّنت بإمامته؛ وذلك بقولها: «خاب قوم تعرّضوا لهذا الرجل»، ومعلوم أنّ خيبتهم هو خسرانهم لمعارضتهم له.

قال الخطيب البغدادي: أنّ أبا الحسن موسى بن جعفر حبس عند السندي فسألته أُخته أن تتولّى حبسه، وكانت تتديّن، ففعل، فكانت تلي خدمته، فحكي أنّها قالت: كان إذا صلّى العتمة حمد الله ومجّده ودعاه، فلم يزل كذلك حتّى يزول الليل، فإذا أزال الليل قام يصلّي الصبح، ثمّ يذكر في القبلة حتّى يصلّي المغرب، ثمّ يصلّي ما بين المغرب والعتمة، فكان هذا دأبه، فكانت أُخت السندي إذا نظرت إليه قالت: خاب قومٌ تعرّضوا لهذا الرجل، وكان عبداً صالحاً[1].



---

(١) تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي ١٣: ٣١.

امرأة من آل بكر بن وائل

كانت هذه المرأة مع زوجها في واقعة الطفّ ، وزوجها هذا من أتباع ابن سعد ، فلمّا نظرت إلى بنات رسول الله ﷺ يُسلبن ويُؤخذ ما عليهنّ من أخمرة وأسورة حتّى أنّ الرجل يسوق النساء بكعب رمحه وهنّ يلذن بعضهنّ ببعض. صاحت هذه المرأة البكرية : يا آل بكر بن وائل ، أتسلب بنات رسول الله ، لا حكم إلّا لله ، يا لثارات رسول الله ، فردّها زوجها إلى رحله[1].



---

(١) راجع مقتل الحسين عليه‌السلام ـ السيّد عبدالرزّاق المقرّم : ٣٠١. اللهوف : ٧٤. مثير الأحزان : ٤١.

الحارث بن امرئ القيس الكندي

خرج في عسكر ابن سعد لحرب الحسين عليه السلام ، فلمّا أتى كربلاء وردوا على الحسين عليه السلام شروطه وحصروه ، مال إليه وانضمّ إلى أصحابه الكنديّين ، وهم أربعة نفر ، فقتلوا مع الحسين عليه السلام رضوان الله عليه بعد أن تحوّل إلى الحقّ وخلد خلود المتحرّرين من ظلمات الغواية إلى نور الهداية(١).



(١) راجع تنقيح المقال ١ : ١٤٣.

الحرّ بن يزيد الرياحي

لمّا سمع الحرّ بن يزيد كلامه واستغاثته ـ أي الحسين عليه السلام ـ أقبل على عمر بن سعد وقال له : أمقاتل أنت هذا الرجل ؟ قال : إي والله ، قتالاً أيسره أن تسقط فيه الرؤوس ، وتطيح الأيدي ، قال : ما لكم فيما عرضه عليكم من الخصال ؟ فقال : لو كان الأمر إليّ لقبلت ، ولكنّ أميرك أبى ذلك ، فتركه ووقف مع النّاس ، وكان إلى جانبه قرّة بن قيس فقال لقرّة : هل سقيت فرسك اليوم ؟ قال : لا ، قال : فهل تريد أن تسقيه ؟ فظنّ قرّة من ذلك أنّه يريد الاعتزال ويكره أن يشاهده فتركه ، فأخذ الحرّ يدنو من الحسين قليلاً ، فقال له المهاجر بن أوس : أتريد أن تحمل ؟ فسكت وأخذته الرعدة ، فارتاب المهاجر من هذا الحال وقال له : لو قيل لي : مَن أشجع أهل الكوفة ؟ لما عدوتك ، فما هذا الذي أراه منك ؟ فقال الحرّ : إنّي أُخيّر نفسي بين الجنّة والنّار ، والله لا اختار على الجنّة شيئاً ولو أُحرقت ، ثمّ ضرب جواده نحو الحسين منكّساً رمحه ، قالباً ترسه ، وقد طأطأ برأسه حياءً من آل الرسول بما أتى إليهم وجعجع بهم في هذا المكان على غير ماء ولا كلأ رافعاً صوته :

اللّهمّ إليك أُنيب ، فتب علَيّ ، فقد أرعبتُ قلوب أوليائك وأولاد نبيّك. يا أبا عبدالله ، إنّي تائب ، فهل لي من توبة ؟

فقال الحسين عليه السلام : نعم ، يتوب الله عليك ، فسّره قوله ، وتيقّن الحياة الأبديّة ،

والنعيم الدائم ، ووضح له قول الهاتف لمّا خرج من الكوفة ، فحدّث الحسين عليه السلام بحديث قال فيه : لمّا خرجت من الكوفة نوديت : أبشر يا حرّ بالجنّة ، فقلت : ويلٌ للحرّ يبشّر بالجنّة وهو يسير إلى حرب ابن بنت رسول الله .

فقال له الحسين عليه السلام : لقد أصبت خيراً وأجراً ، وكان معه غلام تركي[١] .



---

(١) مقتل الحسين عليه السلام ـ السيّد عبدالرزّاق المقرّم : ٢٣٦ .

خالد بن سعيد بن العاص بن اُميّة بن عبدشمس الأموي

قال العلّامة الطباطبائي رحمه الله : إنّه نجيب بني اُميّة ، وأنّه من السابقين الأوّلين المتمسّكين بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان سبب إسلامه أنّه رأى ناراً مؤجّجة يريد أبوه أن يلقيه فيها ، إذا برسول الله صلى الله عليه وآله قد جذبه إلى نفسه وخلّصه من تلك النّار ، فلمّا استيقظ وعرف صدق رؤياه خرج إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ليعرض عليه إسلامه ، فلقى أبو بكر وقصّ عليه الرؤيا ، فأقبل معه أبو بكر حتّى أتيا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأسلما. ثمّ إنّ أباه سعيد بن العاص بن اُميّة لمّا سمع بإسلامه أخرجه من داره ، وأمر بنيه أن لا يكلّموه ولا يجالسوه ، فكان خالد يصبح عند رسول الله صلى الله عليه وآله ويمسي عنده ، حتّى هاجر المسلمون إلى الحبشة ، فهاجر معهم هارباً من أبيه ، ومعه امرأته اُميمة الخزاعيّة ، فولدت بأرض الحبشة سعيداً وابنة له ، ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كتب إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام ويخطب له اُمّ حبيبة بنت أبي سفيان ، ويأمره أن يحمل جعفر وأصحابه ويبعث به إليه ، فأسلم النجاشي ، وآمن برسول الله صلى الله عليه وآله ، وزوّجه اُمّ حبيبة وأصدقها أربعمائة دينار ، وكان خالد هو الذي تولّى التزويج ، وأمر جعفر وأصحابه ـ وفيهم خالد بن سعيد بن العاص ـ فوجّههم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ، فلمّا قدموا المدينة وجدوا رسول الله صلى الله عليه وآله في خيبر ، فشخصوا إليه ، فوجدوه قد فتح خيبر ، فكتب تلك غزوةً لهم ، واُسهموا في الغنيمة ، وشهد خالد مع النبيّ صلى الله عليه وآله الفتح وحنين والطائف وتبوك ، ثمّ ولّاه رسول الله صلى الله عليه وآله صدقات اليمن ، فكان

في عمله ذلك حتّى بلغه وفاة رسول الله ﷺ ، فترك ما في يده وأتى المدينة ولزم عليّاً عليه السلام[١].

ورُوي أنّه أوّل من قام إلى أبي بكر يوم الجمعة ، قال ـ بعد أن حمد الله وأثنى عليه ـ : يا أبا بكر ، اتّق الله ، وانظر ما تقدّم لعليّ بن أبي طالب عليه السلام. أمّا علمت أنّ رسول الله ﷺ قال لنا ونحن محدقون به وأنت معنا في غزاة بني قريضة ، وقد قتل عليّ عليه السلام عدّةً من صناديد رجالهم وأُولي البأس والنجدة منهم : «يا معاشر المهاجرين والأنصار ، إنّي موصيكم بوصيّةٍ فاحفظوها عنّي ، ومودعكم أمراً فاحفظوه ؛ ألا انّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أميركم من بعدي ، وخليفتي فيكم ، وبذلك أوصاني ربّي ، ألا وأنّكم إن لم تحفظوا فيه وصيّتي وتوازروه وتنصروه ، اختلفتم في أحكامكم ، واضطرب عليكم أمر دينكم ، ووليكم أشراركم ، ألا وأنّ أهل بيتي هم الوارثون لأمري ، والعالمون لأمر أمّتي من بعدي. اللّهمّ ، مَن أطاعهم من أُمّتي ، وحفظ فيهم وصيّتي ، فاحشرهم في زمرتي ، واجعل لهم نصيباً من مرافقتي يدركون به نور الآخرة. اللّهمّ ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فاحرمه الجنّة التي عرضها كعرض السماء والأرض.

فقال له عمر بن الخطّاب : اسكت يا خالد ، فلست من أهل المشورة ، ولا ممّن يقتدى برأيه[٢]. فقال له خالد : بل اسكت أنت يابن الخطّاب ، فإنّك تنطق على

---

(١) تنقيح المقال ١ : ٣٩٠.

(٢) عجباً لعمر كيف ينكر فضل خالد وحسبه وهو أوّل من أسلم وهاجر الهجرتين ، ولا يخفى على عمر ، وعلى غيره ، مكانة خالد القرشيّة ، فهو أموي قرشي يتقدّم في حسبه ونسبه على عمر بن الخطّاب ، وقد سبقه إلى الإسلام ، فلماذا يتنكّر عمر لخالد وهو من قد عرفوه منزلةً عند رسول الله ﷺ وقرباً إليه ، ومن الذي يؤخذ رأيه إذا تعدّى ابن الخطّاب خالد وأمثاله ؟! وستمرّ حجّة خالد وإفلاس عمر بعد حين.

لسان غيرك ، وأيم الله ، لقد علمت قريش أنّك من ألأمها حسباً ، وأدناها منصباً ، وأخسّها قدراً ، وأخملها ذِكراً ، وأقلّهم عناءً ، عن الله ورسوله ، وأنّك الجبان في الحروب ، بخيل بالمال ، لئيم العنصر ، ما لك في قريش من فخر ، ولا في الحروب من ذِكر ، وأنّك في هذا الأمر بمنزلة الشيطان **﴿ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾**(١) ، فأبلس عمر وجلس خالد بن سعيد(٢).

قال اليعقوبي في تاريخه : ومالوا مع عليّ بن أبي طالب منهم : العبّاس بن عبدالمطّلب ، والفضل بن العبّاس ، والزبير بن العوّام ، وخالد بن سعيد بن العاص...(٣).

قال أبان بن تغلب : قلت لأبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام : جعلت فداك ، هل كان أحد في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

قال : نعم كان الذي أنكر على أبي بكر اثنا عشر رجلاً من المهاجرين : خالد بن سعيد بن العاص ، وكان من بني اُميّة ، وسلمان الفارسي وأبو ذرّ الغفاري والمقداد بن الأسود وعمّار بن ياسر وبريدة الأسلمي ، ومن الأنصار : أبو الهيثم بين التيهان وسهل وعثمان ابنا حنيف وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين واُبيّ بن كعب وأبو أيّوب الأنصاري(٤).

---

(١) سورة الحشر : الآيتان ١٦ و ١٧.

(٢) الاحتجاج ـ الطبرسي ١ : ٧٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٩.

(٤) الاحتجاج : ٧٥.

خالد بن سعيد أُسبق إسلاماً من أبي بكر خلاف ما يُدّعى ويُثار :

على أنّنا نودّ التنويه إلى أنّ إسلام خالد بن سعيد بن العاص كان أسبق من إسلام أبي بكر ، حسب الرواية المتقدّمة ، وهذا يعني أنّ خالداً له فضيلة السبق في الإسلام ، ولم يكن لأبي بكر ذلك ، فإخبار خالد بعزمه على الإسلام وذهابه إلى رسول الله ﷺ يقتضي أن يكون خالداً قد آمن في قلبه قبل أبي بكر ، وهذا يعني سبق إسلامه ، فإنّ الإيمان هو عقد القلب على شيء ، وهو مرتبة متقدّمة على لفظ الشهادتين ، بل الشهادتين لفظهما لا يعنيان إيمان المرء بقدر ما هي حقن دمه وإمكانيّة تعامله مع المسلمين والتعامل معه ظاهراً.

على أن خالداً هذا أسلم قبل أبي بكر فعلاً ، كما ذكر ذلك الحاكم النيسابوري في مستدركه ، قال :

أخبرني أبو نعيم محمّد بن عبدالرحمن الغفاري بمرو ، ثنا عبدان بن محمّد بن عيسى الحافظ : سمعت عبدالله بن مسلم يذكر عن أبي اليقظان وغيره : أنّ خالد بن سعيد بن العاص أسلم قبل أبي بكر الصدّيق (رضي الله عنهما)[١].

والحقّ أنّ هذه الرواية الرواية تثبت مكرمة السبق لخالد دون أبي بكر ، وهي آخر ورقة يتداولها بعضهم عند تقديم أبي بكر على غيره من الصحابة ، وكونه أسبق النّاس إسلاماً ، بل يفتعلون ضجّة وصخباً مثيراً حينما يختلقون نزاعاً عن أيّهما أسبق للإسلام ، وأوّل مَن أسلم عليّ بن أبي طالب أم أبي بكر ، والظاهر أنّ مكرمة السبق للإسلام قد افتُعلت من ذي قبل تأييداً لخطّ سياسي وتعصّب يخالف الواقع.

---

(١) المستدرك على الصحيحين ـ الحاكم النيسابوري ٣ : ٢٧٨ ـ كتاب معرفة الصحابة.

رسول قيصر ملك الروم إلى يزيد بن معاوية

روى الخوارزمي في مقتله بسنده عن عليّ بن الحسين عليه السلام : لمّا أُتـي بـرأس الحسين إلى يزيد كان يتّخذ مجالس الشرب ، ويأتي برأس الحسين فيضعه بين يديه ويشرب عليه ، فحضر ذات يوم أحد مجالسه رسول ملك الروم ، وكان من أشراف الروم وعظمائها ، فقال : يا ملك العرب ، رأس مَن هذا ؟ فقال له يـزيد : ما لك ولهذا الرأس ؟ قال : إنّي إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كلّ شيء رأيته ، فأحببتُ أن أخبره بقصّة هذا الرأس وصاحبه ، ليشاركك في الفرح والسرور.

فقال يزيد : هذا رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، فقال : ومَن أُمّه ؟ قال : فاطمة الزهراء ، قال : بنت مَن ؟ قال : بنت رسول الله ، فـقال الرسـول : أُفٍّ لك ولدينك ! ما دين أخسّ من دينك ، اعلم أنّي من أحفاد داود ، وبيني وبـينه آبـاء كثيرة ، والنصارى يعظّموني ، ويأخذون التراب من تحت قـدمي تـبرّكـاً ؛ لأنّـي من أحفاد داود ، وأنتم تقتلون ابن بنت رسـول الله ، ومـا بـينه وبـين رسـول الله إلّا أمّ واحدة ، فأي دين هذا ؟

ثمّ قال له الرسول : يا يزيد ، هل سمعت بحديث كنيسة الحافر ؟ فقال يزيد : قل حتّى أسمع ، فقال : إنّ بين عمان والصين بحراً مسيرته سنة ليس فيه عمران إلّا بلدة واحدة وسط الماء ، طولها ثمانون فرسخاً ، وعرضها كذلك ، ومـا عـلى وجه الأرض بلدة أكبر منها ، ومنها يحمل الكافور والياقوت والعنبر ، وأبخارهم

العود ، وهي في أيدي النصارى لا ملك لأحد فيها من الملوك ، وفي تلك البلدة كنائس كثيرة ، أعظمها كنيسة الحافر ، في محرابها حقّة من ذهب ، معلّقة فيها حافر يقولون : إنّه حافر حمار كان يركبه عيسى ، وقد زيّنت حوالي الحقّة بالذهب والجواهر والديباج والابريسم. وفي كلّ عام يقصدها عَالم من النصارى ، فيطوفون حول الحقّة ويزورونها ويقبّلونها ، ويرفقون حوائجهم إلى الله ببركتها ، هذا شأنهم ودأبهم بحفار حمار يزعمون أنّه حمار كان يركبه عيسى نبيّهم. وأنتم تقتلون ابن بنت نبيّكم ، لا بارك الله فيكم ولا في دينكم ، فقال يزيد لأصحابه : اقتلوا هذا النصراني فإنّه يفضحنا إن رجع إلى بلاده ويشنّع علينا ، فلمّا أحسّ النصراني بالقتل قال : يا يزيد ، أتريد قتلي ؟ قال : نعم. قال : فاعلم أنّي رأيت البارحة نبيّكم في منامي وهو يقول لي : يا نصراني ، أنت من أهل الجنّة ، فعجبت من كلامه حتّى نالني هذا ، فأنا أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، ثمّ أخذ الرأس وضمّه إليه وجعل يبكي حتّى قُتل.

وروى مجد الأئمّة السرخسي عن أبي عبدالله الحدّاد : أنّ النصراني اخترط سيفاً وحمل على يزيد ليضربه ، فمال الخدم بينهما ، وقتلوه وهو يقول : الشهادة الشهادة(١).

وفي مقتل العوالم ومثير الأحزان كما عن السيّد المقرّم في مقتله : أنّ الرأس الشريف بعد مقتل رسول ملك الروم سمعه أهل المجلس يقول : لا حول ولا قوّة إلّا بالله(٢).



---

(١) مقتل الخوارزمي ٢ : ٨٠.

(٢) مقتل المقرّم : ٣٥٥.

زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور

(زوجة الرشيد)

أُمّ محمّد الأمين. قال الصدوق في المجالس: أنّها كانت من الشيعة، فلمّا عرفها أنّها منهم حلف بطلاقها. وقال ابن خلّكان: لها معروف كثير، وفعل خير، وقصّتها في حجّها وما اعتمرته في طريقها مشهورة، فلا حاجة إلى شرحها.

قال ابن الجوزي في كتاب الألقاب: أنّها سقت أهل مكّة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار، وأنّها أسالت الماء عشرة أميال بحطّ الجبال، ونحّت الصخور حتّى غلغلته من الحلّ إلى الحرم، وعملت قبّة البستان، فقال لها وكيلها: يلزمك نفقة كثيرة، فقالت: اعملها ولو كانت ضربة فاس بدينار، وأنّه كان لها مائة جارية يحفظن القرآن، ولكلّ ورد عُشر القرآن، وكان يسمع في قصرها كدويّ النحل من قرائة القرآن، وأنّ اسمها أمة العزيز، ولقبها جدّها أبو جعفر المنصور زبيدة لبضاضتها ونضارتها. قال الطبري في تاريخه: أعرس بها الرشيد في سنة خمس وستّين ومائة، وكانت وفاتها سنة ستّ عشر ومائتين في جمادى الأُولى ببغداد[1].

---

(١) تنقيح المقال ٣: ٧٨. وراجع: تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٧٨، في حجّ زبيدة سنة ١٩٠هـ؛ والروضة الفيحاء في أخبار النساء: ٣٥٤.

وترجمها ابن كثير بقوله : وكان لها من الجمال والمال والخير والديانة والصدقة والبرّ شيء كبير.. ثمّ ذكر كلام ابن خلّكان فيها[١].

وفي المنتظم : قال ابن الجوزي :... وكانت معروفة بالخير والأنفال على العلماء والفقراء ، ولها آثار كثيرة طريق مكّة والمدينة والحرمين ، وساقت الماء من أميال حتّى غلغلته بين الحلّ والحرم[٢].

وهذا يدلّ على تنسّكها وورعها ، فلم ينقل عنها لهوٌ ولا عبث ، بل نقل عنها عقل وأدب ، والظاهر أنّ ارتباطها الخفيّ مع أئمّة أهل البيت عليهم السلام لا يقوى على المؤرّخين التعاطي معه كونه من أهمّ الأمور التي تقوّض أُسس الدعاوى السياسيّة لنظام العبّاسيّين ، ومَن تقدّمهم ، على أهل البيت عليهم السلام ، بل محاولة تصفيتهم وإبعادهم عن ممارسة الحياة العامّة ، فتشيّع زبيدة علامةٌ فارقة في رواج مذهب أهل البيت عليهم السلام ، حتّى إنّ إمامتهم اخترقت أسوار بلاط النظام ، ممّا أفزع النظام وحاول تصفية الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وقت ذاك ، وما المحاولات الجائرة في سجن الإمام عليه السلام من قِبل النظام إلّا معرفة النظام من اقتحام فكر أهل البيت عليهم السلام وتهديده الحقيقي لوجود النظام وكيانه ، ليغزوهم في عُقرِ دورهم ، وليهتك حجب تزوير الحقائق وبطلان الدعاوى التي تشبّث بها النظام منذ توليته السياسيّة لأُمور الأمّة ، وفرض الطاعة عليها ، واستبعاد أئمّة آل البيت عليهم السلام عنها.

على أنّ الزبير بن بكّار يكشف طرفاً خفيّاً لما كانت عليه علاقة التوتّر وعدم الودّ بين الرشيد وزبيدة ، فالرشيد يصوّر هذا التباعد بلحاظٍ آخر لئلّا تتّسع رقعة الخلاف في نظر الآخرين ، أو تتسرّب أخبار هذه العلاقة المتوتّرة التي نوّه عنها

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ١٠ : ٢٧١.

(٢) المنتظم ـ ابن الجوزي ١٠ : ٢٧٦.

الصدوق بقوله: «كانت من الشيعة، فلمّا عرفها أنّها منهم حلف بطلاقها»، فحديث هارون الذي ينقله الزبير بن بكّار يُشعر ذلك. قال الرشيد: وكنت أهاب الجلوس على فراشها مع جليل موقعها من قلبي إعظاماً لها[1]. ولا تعني هذه الحالة علاقة طبيعيّة لزوجين بقدر ما تكشف عن علاقة متوترة تختبأ تحتها إثاراتٍ من الاختلاف التي من شأنها أن تُباعد بين الزوجين، ولكيلا يفتضح أمر هذه العلاقة غير الطبيعيّة، يحاول البلاط التمويه على ذلك التشنّج الخفي الذي يسود جوّ بيت الخلافة العبّاسيّة، وإذا كانت هيبة زبيدة تمنع الرشيد من الجلوس على فراشها، فإنّ صاحب الروضة الفيحاء في أخبار النساء يبالغ في عبثيّة زبيدة، حتّى إنّها تروي أنّ الرشيد أمرها أن تطوف القصر مجرّدة عن ثيابها وهي تسير عريانة[2]. فكيف يمكن التوفيق بين مبالغات الروضة الفيحاء وبين رواية الزبير بن بكّار من هيبتها وإعظامها لدى الرشيد؟!

ممّا يعني أنّ روايات اللهو التي حاولت أن تلتصق بزبيدة متهافتة لا تقوى على الصمود أمام واقع الحال، وهذا يؤكّد لنا أنّ هناك قضيّة تهدّد هذه العلاقة لولا خوف الرشيد من أن يفتضح أمر سبب الخلاف ـ وهو تشيّع زبيدة ـ لأنّ ذلك أبلغ في إدانة النظام، وإعطاء فرصةً أكبر لفكر أهل البيت عليهم السلام أنيسري بين أوساط النّاس، وقد سرى في دهاليز القصر العبّاسي، وغزا قلوب حرمهِ. هذا وكون الرشيد يخشى في الوقت نفسه من إثارة حفيظة العبّاسيّين عند نشوب نزاعٍ ظاهر بينه وبين زبيدة، كونها أكرم عبّاسيّة لها مكانتها وخطرها في نظر البيت العبّاسي جميعاً، ممّا جعل الرشيد يتحاشى إظهار هذا النزاع، ويحرص على أن تأخذ

---

(١) الموفّقيّات ـ الزبير بن بكّار: ٥١٢.

(٢) الروضة الفيحاء: ٣٥٤.

علاقته بزبيدة طابعها التشريفي الذي يضمن للخليفة حياة ظاهرية مستقرّة.

ولعلّ تشيّع زبيدة يأخذ أكثر من ذلك في أبعاده وأثره على الفكر الشيعي إذا علمنا أنّها إحدى النساء اللّاتي يخرجن في جيش الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف، ففي رواية مفضّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبدالله يقول: يكن مع القائم ثلاثة عشر امرأه، قلت: وما يصنع بهنّ؟ قال: يداوين الجرحى، ويقمن على المرضى، كما كان مع رسول الله ﷺ، قلت: فسمهنّ لي؟ قال: القنوا بنت رُشيد، وأُمّ أيمن، وحبّابة الوالبيّة، وسميّة أُمّ عمّار بن ياسر، وزبيدة، وأُمّ خالد الأحمسيّة، وأُمّ سعيد الحنفيّة، وصبانة الماشطة، وأُمّ خالد الجهنيّة[1].

ولا نعهد (زبيدة) سوى زبيدة زوجة هارون الرشيد ممّا يؤكّد حقيقة تشيّعها واعتناقها لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

على أنّنا نودّ التنويه لأمر مهم، فإنّ تشيّع زبيدة لم يكد يُتداول في مصادر الفريقين عدا ما سمعته من الشيخ الصدوق صراحةً، وما نستشفّه من بعضهم في ذكرهم لقرائن تديّنها وتقواها. والحقيقة أنّ مثل هذه المسألة المثيرة لا يمكنها أن تأخذ مكانها في الكتب التاريخيّة لأسباب عدّة:

أوّلاً: أنّ القضيّة نالت من الكتمان ما لم يسع المؤرّخ إلى متابعة الحدث بشكل واضح، فإنّ التستّر على مثل هذه الأُمور الخطيرة، وحرص النظام على عدم إظهارها وتفشّيها بين العامّة، وأنت تعلم أنّ إيمان آسيا بنت مزاحم، ومخالفتها لزوجها لم يكن معروفاً، حتّى أثاره القرآن الكريم ونوّه عنه، ومع هذا لم تجد لذلك ذِكراً في الموسوعات التاريخيّة، ولم يتناقلها الرواة، ولولا ذكر القرآن لها

---

(١) دلائل الإمامة ـ أبو جعفر الطبري: ٢٥٦.

لم تصل الحادثة إلينا ولم نكد نعلم بها. وهكذا هي قضيّة تشيّع زبيدة، فإنّ النظام حريص على إخفاء الحادثة، وعدم التعاطي معها بأي شكلٍ من الأشكال، ومَن يدري، فلعلّ تصفياتٍ حدثت على يد النظام لمن علِمَ بالأمر، أو حاول أن يبوح به.

ثانياً: أنّ مثل هذه الحادثة لا يمكن للمورّخ أن يتعاطى معها بشكل طبيعي خوفاً من النظام أن تطاله عقوبته، إذا ما عرفنا أنّ الكتابات التاريخيّة انتعشت إبّان الدولة العبّاسيّة، ولعلّ النظام العبّاسي ساهم كثيراً في إخفاء مثل هذه الحادثة.

ثالثاً: أنّ المؤرّخ لم يكد يتعامل مع الحادثة كون ذلك يرتبط بصميم عقيدته، إذا ما عرفنا أنّ المؤرّخين أغلبهم ينتهجون مذهب النظام، وليس مذهب أهل البيت عليهم السلام عدا اليعقوبي المؤرّخ الشيعي، فهو كان يعيش في ظلّ الدولة العبّاسيّة، فمتى يُتاح له التعاطي مع هذه القضيّة وأمثالها.

رابعاً: أنّ مسألة تشيّع زبيدة لم يكد يستوعبها المؤرّخ، وهو وإن مرّت عليه قراءة هذه الحادثة أو سماعها، إلّا أنّ حياة البلاط العبّاسي لا يسعه أن تحدث لديه مثل هذه الحالة؛ وذلك لما عُرف عن نساء البلاط من اللهو والعبث، هكذا كانت ترتكز هذه الحالة في ذهنيّة المؤرّخ ممّا يدفعه إلى عدم تصديق ذلك، أو أنّ النظرة العامّة لا يسعها أن تستوعب مثل ذلك، ممّا يجعل المؤرّخ حريصٌ على تجنّب مثل هذه الإثارات التي تتّهمه بالغفلة من لدن العامّة، أو بالمخالفة المذهبيّة من قِبل الأنظمة السياسيّة المتعاقبة.

من هنا يمكننا إثبات تشيّع زبيدة، وعدّها من شَيعة الإمام عليه السلام، لنقرأ بذلك مقطعاً تاريخيّاً من علاقة النظام بأئمّة أهل البيت عليهم السلام، وسبب قلقهم وذعرهم

من أئمّة آل البيت عليهم السلام ، وقد عرفت أنّ فكرهم عليهم السلام يخترق أسوار البلاط ، وما للانتماء المعرفي من أهمّية في نكران الذات ، والتخلّي عن مترفات الحياة إلى سوح الجهاد والتضحية مهما كانت النتائج .



زهير بن سليم الأزدي

كان مع ابن سعد في كربلاء، فلمّا رأى تصميم القوم على قتال الحسين عليه السلام انضمّ إليه، وكان من أصحابه[1]، وقُتل في الحملة الأُولى ـ كما عدّه ابن شهرآشوب[2] ـ فنال شرف الشهادة وشرف التسليم عليه من قِبل الإمام عجّل الله فرجه الشريف في زيارة الناحية المقدّسة.



(١) راجع إبصار العين: ١٤٣.

(٢) المناقب ٤: ١٢٢.

زهير بن القين

كان عثماني النزعة، وليس له هوى في الحسين عليه السلام، وكان قد حجّ سنة ستّين في أهله، ثمّ عاد من الحجّ، فوافق الحسين عليه السلام في الطريق، فأرسل عليه السلام خلفه، فتماهل فلامته زوجته دلهم بنت عمرو على ذلك، فمضى إليه عليه السلام، فما لبث أن صار علويّاً مستبشراً وقد اصفرّ وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله فقوّض، وحُمل إلى الحسين عليه السلام، فطلّق زوجته وأمرها باللحوق إلى أهلها، ولازم الحسين عليه السلام، وجعل يُقاتل يوم الطفّ قتالاً شديداً لم يرَ مثله إلى أن نال الشهادة، وقد زاد شرف الشهادة بشرف تسليم الحجّة المنتظر عجّل الله فرجه الشريف عليه في زيارة الناحية المقدّسة بقوله عليه السلام: السلام على زهير بن القين البجلي القائل للحسين عليه السلام وقد أذن له بالانصراف: لا والله! لا يكون ذلك أبداً، أترك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أسيراً في يد الأعداء وأنجو، لا أراني الله ذلك اليوم[1].



(١) راجع تنقيح المقال ١ : ٤٥٢.

سعد الأموي

(الملقّب بسعد الخير)

لم يعنونه أصحابنا الرجاليّون ، والمستفاد من عدّة من الأخبار جلالة قدره ، وعظم منزلته عند أبي جعفر عليه السلام ، فقد روى الشيخ المفيد رضوان الله عليه في كتاب الاختصاص بإسناده عن أبي حمزة الثمالي ، قال : دخل سعد ـ وكان أبو جعفر عليه السلام يسمّيه سعد الخير ، وهو من وُلد عبدالعزيز بن مروان ـ على أبي جعفر عليه السلام ، فبينا ينشج كما تنشج النساء فقال له أبو جعفر عليه السلام : ما يبكيك يا سعد ؟ ! قال : وكيف لا أبكي وأنا من الشجرة الملعونة في القرآن ، فقال عليه السلام : لست منهم ، أنت منّا أهل البيت ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ **فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي** ﴾[1] ، وقد كتب إليه أبو جعفر عليه السلام رسالتين طويلتين متضمّنتين لمواعظ بليغة كاشفتين عن موقعه ومنزلته عند أبي جعفر عليه السلام . روى إحدى الرسالتين الكليني في الكافي عن إسماعيل بن بزيع ، عن عمّه حمزة بن بزيع ، قال : كتب أبو جعفر عليه السلام إلى سعد الخير :

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد : فقد جائني كتابك تذكر فيه معرفة ما لا ينبغي ، وطاعة من رضي الله

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٣٦.

رضاه، فقبلتُ من ذلك لنفسك ما كانت نفسك مرتهنة لو تركته، فعجب أنّ رضاء الله وطاعته ونصيحته لا تقبل ولا توجد ولا تعرف إلّا في عباد غرباء أخلّاء من النّاس قد اتّخذهم النّاس سخرياً لما يرمونهم به من المنكرات، وكان يقال لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يكون أبغض إلى النّاس من جيفة الحمار، ولولا أن يصيبك من بلاء مثل الذي أصابنا فتجعل فتنة النّاس كعذاب الله، وأُعيذك بالله وإيّانا من ذلك لقربت على بعد منزلتك.

واعلم رحمك الله أنّه لا تنال محبّة الله إلّا ببغض كثيرٍ من النّاس، ولا ولايته إلّا بمعاداتهم، وفوت ذلك قليل يسير لدرك ذلك من الله لقومٍ يعلمون.

يا أخي، إنّ الله عزّ وجلّ جعل في كلّ من الرسل بقايا أهل العلم يهدون من ضلّ إلى الهدى، ويصيرون معهم على الأذى، يجيبون داعي الله، يدعون إلى الله، فانصرهم رحمك الله، فإنّهم في منزلة رفيعة، وانّ أصابتهم في الدنيا وضيعة، انّهم يجيبون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله من العمى، كم من قتيلٍ لإبليس قد أحيوه، وكم من من تايهٍ ضالٍّ قد هدوه، يبذلون دمائهم دون هلكة العباد، وما أحسن أثرهم على العباد، وأقبح آثار العباد عليهم.

قال المامقاني: إنّ ترحّمه عليه السلام عليه في موضعين يدلّ على جلالته، وقوّة ديانته، ووفور تقواه، بل خطابه عليه السلام بقوله: «يا أخي» يدلّ على عظيم قدره عنده؛ لأنّه لا يكون أخاه عليه السلام إلّا إذا التزم بأعلى درجات التقوى والإيمان، ولا داعي له عليه السلام إلى المجاز، ولا يحتمل فيه التقيّة لاشتماله على التعريض بالقدح على العامّة.. وكيف كان ففي هذه الأخبار دلالة على كون الرجل إماميّاً مؤمناً متّقياً جليلاً[1].

---

(١) تنقيح المقال ٢: ١٣.

سعد بن الحرث الأنصاري

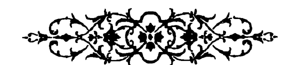
كان رأيه رأي الخوارج ، خرج مع ابن سعد إلى حرب الحسين عليه السلام ، فلمّا سمع استنصاره وصراخ النساء والأطفال لسماع استنصاره نالته الهداية الأبديّة وتوفيق السعادة ، فقال هو وأخوه أبو الحتوف : إنّا نقول لا حكم إلّا لله ، ولا طاعة لمن عصاه ، وهذا الحسين بن بنت نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله ونحن نرجو شفاعة جدّه يوم القيامة ، فكيف تقاتله وهو بهذا الحال ، نراه لا ناصر له ولا معين ، فمال هو وأخوه أبو الحتوف بسيفهما بين يدي الحسين عليه السلام على أعدائه ، وجعلا يقاتلان قريباً منه حتّى قَتلا جمعاً ، وجرحا آخرين ، ثمّ قُتلا معاً في مكان واحد رضوان الله عليهما[1].



(١) تنقيح المقال ٢ : ١٢.

سلمان بن مضارب

ابن عمّ زهير بن القين، وكان على عقيدته ـ أي عثمانيّاً ـ، فعدِل مع زهير إلى الحسين عليه السلام، ونال شرف الشهادة ومرتبة الخلود بعد أن تحرّر ووعى الحقّ وناصره[1].



(١) راجع تنقيح المقال ٢ : ٤٨.

عبدالرحمن بن الحكم بن أبي العاص

(أخو مروان بن الحكم)

روى الخوارزمي في مقتله أنّ عبدالرحمن بن الحكم أخو مروان لمّا نظر رأس الحسين عليه السلام أنشد في محضر يزيد بن معاوية :

لهـامٍ بـجنب الطـفّ أدنـى قـرابـةً ... من ابن زياد العبد ذي النسب الوغلِ

سميّة أمسـى نسـلها عـدد الحـصى ... وبنت رسول الله ليست بذي نسـلِ

وروي : أن يزيد نظر إلى عبدالرحمن وقال : سبحان الله ! أفي هـذا المـوضع تقول ذلك ، أما يسعك السكوت ؟ (١)

روى أبو الفرج الإصفهاني : أخبرني عمّي قال : حدّثنا عبدالله بن أبي سعيد ، قال : حدّثنا عليّ بن الصباح ، عن ابن الكلبي ، عن أبيه ، قال : كان عبدالرحمن بن الحكم بن أبي العاص عند يزيد بن معاوية ، وقد بعث إليه عبيدالله بن زياد برأس الحسين بن عليّ عليه السلام ، فلمّا وضع بين يدي يزيد في الطشت بكى عبدالرحمن ، ثمّ قال :

أبـلغ أمـير المـؤمنين فـلا تكـن ... كـموترِ أقـواسٍ وليس لهـا نـبل

---

(١) مقتل الخوارزمي ٢ : ٦٣.

لهامٍ بجنب الطفّ أدنى قرابةً   من ابن زياد الوغد للحسب الرذل

سميّةُ أمسى نسلها عدد الحصى   وبنت رسول الله ليس لها نسل

فصاح به يزيد: اسكت يابن الحمقاء، ما أنت وهذا(١).

وروى أبو الفرج الإصفهاني بسنده إلى عمرو بن سعيد عن أبي مليكة، قال: رأيتم -بني أُميّة- يتتابعون نحو ابن عبّاس حيث نفى ابن الزبير بني أُميّة عن الحجاز، فذهبت معهم وأنا غلام، فلقينا رجلاً خارجاً من عنده، فدخلنا عليه فقال له: عبيد بن عمير، ما لي أراك تذرف عيناك؟ فقال له: أنّ هذا -يعني عبدالرحمن بن الحكم- قال بيتاً أبكاني وهو:

وماكنت أخشى أنترى الذلّ نسوتي   وعبد منافٍ لم تغلها الغوائل

وروى الإصفهاني بسنده إلى الهيثم بن عدي:

قال لمّا ادّعى معاوية زياداً قال عبدالرحمن بن الحكم في ذلك والنّاس ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه إلى زياد وذلك غلط، قال:

ألا أبلغ معاوية بن حربٍ   مغلفة من الرجل الهجانِ

أتغضب أن يقال أبوك عفٌّ   وترضى أن يقال أبوك زانِ

فاشهد أن رحمك من زيادٍ   كرحمِ الفيل من ولد الاتانِ

وأشهد أنّها ولدت زياداً   وصخر من سميّة غير دانِ

فبلغ ذلك معاوية بن حرب، فحلف أن لا يرضى عن عبدالرحمن حتّى يرضى عنه زياد. فخرج عبدالرحمن إلى زياد، فلمّا دخل عليه قال له: إيه يا عبدالرحمن، أنت القائل: «ألا أبلغ...»؟

---

(١) الأغاني ١٣: ٢٨٨ - ٢٨٩.

قال: لا يا أيّها الأمير ما هكذا قلت، ولكنّي قلت:

ألا مــن مــبلّغٌ عــنّي زيــاداً	مــغلفة مـن الرجـل الهـجان
من ابن القرم قرم بني قـصيٍ	أبي العاصِ ابن آمنة الحصان
حلفتُ بربّ مكّة والمـصلّى	وبـالتوراة أحـلف والقـرآن
لأنت زيــادة فــي آل حـرب	أحبّ إليّ مـن وسـطى بـنانِ
سررتُ بـقربه وفـرحت لمّـا	أتـــاني الله مـــنه بـــالبيانِ
وقــلت له أخــو ثـقةٍ وعـمّ	بـعون الله فـي هـذا الزمـانِ
كـذلك أراك والأهـواء شـتّى	فما أدري بـغيبٍ مـا تـرانـي

فرضي عنه زياد، وكتب له بذلك إلى معاوية، فلمّا دخل عليه بالكتاب قال: أنشدني ما قلت لزياد، فأنشده فتبسّم، ثمّ قال: قبّح الله زياداً ما أجهله، والله لمّا قلت له أخيراً حيث تقول: «لأنت زيادة في آل حرب...» شرّ من القول الأوّل، ولكنّك خدعته، فجازت خديعتك عليه(١).

فمواقف عبدالرحمن بن الحكم بن أبي العاص المعارضة لآل حربٍ تنمُّ عن توجّهاتٍ فكريّةٍ ومبانٍ عقائديّة تُعبّرُ عن ولائه لآل البيت عليهم السلام، ولا يُعقل أن تكون مشاريع عبدالرحمن بن الحكم الأدبيّة مقتصرةً على ذلك، فلعلّ السياسة أخفت ذلك وكتمت صوت عبدالرحمن بن الحكم كما هو شأنها في كتم الأصوات المعارضة الأُخرى، خصوصاً أنّ عبدالرحمن يُعدُّ انحداراً أمويّاً ووراثةً مروانيّة تحملُ عدائها التقليدي لآل البيت عليهم السلام، إلّا أنّ توجّهات عبدالرحمن المخالفة لتقليديّة أسلافه فرضت نفسها على الواقع الأموي، ومن ثمّ المرواني ليُعدُّ معارضة فكريّة أكثر من كونها معارضة سياسيّة.

---

(١) الأغاني ١٣: ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

عبدالله بن بشر الخثعمي

كان ممّن خرج مع عمر بن سعد إلى كربلاء ، فتحوّل إلى آل الله بعد أن شملته الهداية الإلـٰهيّة ، فاستمع إلى الحقّ ، وتحرّر من قيود العبوديّة إلى رحاب الخلود ، انضمّ إلى الحسين عليه السلام قبل حربه ولازمه حتّى استشهد بين يديه يوم الطفّ ، وزاده شرفاً على شرف الشهادة التسليم عليه بالخصوص في زيارة الناحية المقدّسة[١].



(١) تنقيح المقال ٢ : ١٧٠.

علي بن صلاح الدين الأيّوبي

كان صلاح الدين الأيّوبي معادياً لشيعة أهل البيت عليهم السلام ، فقد عزل قضاة الشيعة عند تولّيه الوزارة ، قضى على الدولة الفاطميّة في مصر ، وانقرض أمر الشيعة هناك بعدما فعل بهم صلاح الدين الأيّوبي ما فعل.

قال ابن خلدون : بعد وفاة العاضد ـ آخر خلفاء الفاطميّين ـ احتوى على قصر الخلافة بما فيه ، فحمله بهاء الدين قراقروش إليه ، وكان في خزانتهم من الذخيرة ما لم يسمع بمثله. ثمّ أتى ابن خلدون على ذكر طائفة منها ، ومنها مكتبة تحوي مائة وعشرين ألف سفر أعطاها للفاضل عبدالرحيم البيساني.

وقال بعد ذلك : ثمّ حبس ـ أي صلاح الدين ـ رجالهم ونساءهم حتّى ماتوا ، وكانت بالدولة عند عهد العزيز والحاكم قد خلا جوّها من رجالات كتامة ، وتفرّقوا في المشرق في سبيل ذلك الملك وانقرضوا بانقراض أمر الشيعة وموت العاضد آخر خلفائهم. ولمّا هلك العاضد ـ الحاكم الفاطمي ـ وحوّل صلاح الدين الدعوة إلى العبّاسيّة ، اجتمع قوم من الشيعة بمصر وبايعوا لداود بن العاضد ، ونمي خبرهم إلى صلاح الدين فقبض عليهم وقتلهم ، وأخرج داود من القصر ، وذلك سنة تسع وستّين وخمسمائة[1].

---

(١) تاريخ الشيعة ـ الشيخ سليمان ظاهر ١ : ١٩٧.

هذا شأن صلاح الدين الأيّوبي مع الشيعة حيث أزال دولة الفاطميّين الشيعيّة وأحالها إلى دولة عبّاسيّة، وقتل من الشيعة، وسجن الكثير منهم.

إلّا أنّ ولده عليّ أظهر خلاف ذلك، فقد التزم بمذهب أهل البيت عليهم السلام، وكان شيعيّاً حسن المذهب، ممّا دعى أهله إلى حرمانه من حقّ وراثة أبيه في الملك، واستحوذوا عليه دونه، وأبعدوه عن حقّه. فكتب إلى الخليفة الناصر العبّاسي يشكو أهله وما فعله عمّه عثمان وأخوه أبو بكر، فكتب إليه:

مولاي أن أبا بكر وصاحبه ... عثمان قد غصبا بالسيف حقّ عليّ

وخالفاه وحلّا عقد بيعته ... فالأمر بينهما والنصّ جليّ

فانظر إلى حظٍّ هذا الاسم كيف لقى ... من الأواخر ما لاقى من الأولِ

وسيأتي ردّ الناصر في محلّه إن شاء الله تعالى.

عنونه صاحب طبقات أعلام الشيعة هكذا: عليّ بن يوسف بن أيّوب بن شادي بن مروان، وقال: هو الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن عليّ ابن السلطان صلاح الدين الكردي الأيّوبي، المولود بالقاهرة (٥٦٥)، والمتوفّى بسمياط في (٦٢٢هـ)، وكان أكبر ولد أبيه.

مَلَكَ دمشق بعد موت والده، وملك أخوه العزيز لمصر، وأخوه الظاهر لحلب.

قال الصفدي: إنّ الأفضل كامل الفضائل يتظاهر بالتشيّع، ومن قوله:

ذي سنّةٍ بين الأنام قديمة أبداً ... أبو بكر يجور على عليّ

وترجمه اليافعي في مرآة الجنان أنّه سمع من جماعة، وله شعر، وترسّل، وجودة كتابة، وفيه فضيلة ونباهة، وكان محبّ العلماء ويعظّمهم.

وترجمه القاضي التستري في مجالس المؤمنين، وضياء الدين المؤيّدي في نسمة السَّحر في مَن تشيّع وشعر: وكلّهم أوردوا لَه ما كتبه إلى الناصر العبّاسي أحمد، مستنصراً منه وشاكياً إليه عن عمّه أبي بكر وأخيه عثمان.

وحكي عن الذهبي أنّه قال: إنّ أخاه المحسن بن صلاح الدين أيضاً كان شيعيّاً[1].



(١) طبقات أعلام الشيعة ١: ١٢٢.

الخليفة العبّاسي المأمون

(عبدالله بن هارون الرشيد)

وهو الخليفة المأمون أبو الفضل وأبو العبّاس عبدالله بن هارون الرشيد بن المهدي ابن المنصور العبّاسي.

قال الصنعاني: وكان المأمون يظهر أنّ مذهبه مذهب القائلين بالنصّ والوصيّة من الشيعة، فلذا بايع النّاس للإمام الرضا عليه السلام بالعهد، وأمر فنودي: برئت الذمّة ممّن ذكر معاوية بخير، أو ترحّم عليه، وأمر بلعنه على المنابر مراراً، ونادى بتحليل متعة النكاح، حتّى صدّه القاضي يحيى بن أكثم وقال المتعة زنا لأنّه:

قاضٍ يرى الحدّ في الزناءِ ولا ... يرى على مَن يلوط من بأسِ

وذكر ابن خلّكان عن محمّد بن منصور، قال: كنا مع المأمون في سفر، فأمر أن يُنادى بتحليل المتعة، فقال لي يحيى بن أكثم ولأبي العيناء: فإن رأيتما للقول وجهاً فقولا، وإلّا فاسكتا حتّى أدخل.

قال: فدخلنا وهو يستاك ويقول وهو مغتاظ: متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وعند أبي بكر وأنا أنهى عنهما، ومن أنت يا جُعل حتّى تنهى عمّا فعله رسول الله صلى الله عليه وآله، فأمسكنا حتّى جاء يحيى بن أكثم فجلس، فقال المأمون: ما لي أراك متغيّراً؟ فقال: هو غمّ يا أمير المؤمنين لما حدث في الإسلام من النداء

بتحليل الزنا، قال: الزنا! قال: نعم، المتعة زنا، قال: ومن أين لك هذا؟ قال: من كتاب الله تعالى وحديث رسول الله ﷺ، قال الله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾[١]، والمتعة من وراء ذلك، فمتّبعها من العادين، وهذا الزهري روى عن عبدالله والحسن ابني محمّد بن الحنفيّة، عن أبيهما، عن عليّ، قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أُنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كان أمرَ بها، فقال المأمون: أمحفوظ هذا من حديث الزهري؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، رواه جماعة منهم مالك، فقال: استغفر الله نادوا بتحريم المتعة، قال: فنادوا بذلك[٢].

قال الصنعاني وله في مذهبه:

أُقسم بالله وآلائه ... والمرءُ عمّا قال مسؤولُ
إنّ عليّ بن أبي طالب ... على التقى والبرِّ مجبولُ
وأنّه كان الإمام الذي ... له على الأُمّة تفضيلُ
يقول بالحقّ ويختاره ... ولا تدانيه أباطيلُ
كان إذا الحرب براها القنى ... فقصّرت عنها البهاليل

---

(١) سورة المؤمنون: الآيات ١ ـ ٦.

(٢) من البعيد أن ينصاع المأمون لكلام يحيى بن أكثم بهذه البساطة، فالمأمون ليس ساذجاً لتثنيه دعوى يحيى بن أكثم بشهادة خبرٍ لم يثبت صحّته رواه عن الزهري، والمأمون لم يقدم على تحليل المتعة إلّا بعد أن رأى تواتر الأحاديث الواردة، فلا يعارضها خبر واحد روي عن الزهري، والمأمون مَن قدعلمت، فقيهاً محدّثاً لا يأخذه يحيى بن أكثم بحجّته الواهية، ولو كان ليحيى من الحجّة والاقناع، وللمأمون من البساطة والسذاجة في الرؤية، وعدم القناعة إلى ما يذهب إليه لكان نهاه عن العدول عن رؤيته العدليّة، وعقده ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام، وتقريبه العلويّين، وإبعاده بني العبّاس.

فالخبر يكشف عن صحّته إلّا أنّه يذيّل بما يبعده عن واقعيّته.

يمشي إلى القرن وفي كفّه أبيض ماضي الحدّ مصقول
مشي العفريا بين أشباله أسلمهُ إلمقتنص الغيل[١]

والأبيات ينسبها البعض إلى السيّد الحميري رضوان الله عليه.

وقال الطبري عند تأريخه لسنة ٢١٢ : وفيها أظهر المأمون القول بخلق القرآن، وتفضيل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقال : هو أفضل النّاس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك في شهر ربيع الأوّل منها[٢].

إلّا أنّ المسعودي يحاول أن يذكر سبب براءة المأمون من معاوية بن أبي سفيان، وأمر النّاس بذلك متجاهلاً ما ذكر الطبري من تفضيل عليّ عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث يذكر قضيّة أوردها الزبير بن بكّار، وإن كنّا لا نميل إلى حصر السبب في ذلك، بل إنّ نوازع اعتقاده ناشئة من حيثيات ثقافيّة قديمة ترعرع عليها المأمون، وليس اعتقاده من دوافع وقتيّة عارضة.

قال المسعودي : وفي سنة اثنتي عشرة ومائتين نادى منادى المأمون : برئت الذمّة من أحد من النّاس ذكر معاوية بخير أو قدّمه على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وتكلّم في أشياء من التلاوة أنّها مخلوقة، وغير ذلك، وتنازع النّاس في السبب الذي من أجله أمر بالنداء في أمر معاوية، فقيل في ذلك أقاويل، منها : أنّ بعض سمّاره حدّث بحديث عن مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي، وقد ذكر هذا الخبر الزبير بن بكّار في كتابه المعروف بالموفّقيّات التي صنّفها للموفّق، وهو ابن الزبير، قال : سمعت المدائني يقول : قال مطرف بن المغيرة بن شبعة : وفدتُ مع أبي المغيرة إلى معاوية، فكان أبي يأتيه يتحدّث عنده ثمّ ينصرف إليَّ فيذكر

---

(١) نسمة السَّحر بذكر مَن تشيّع وشعر ـ اليماني الصنعاني ٢ : ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ١٨٨.

معاوية ويذكر عقله ، ويعجب ممّا يرى منه ؛ إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ، فرأيته مغتمّاً ، فانتظرته ساعة ، وظننت أنّه لشيء حدَث فينا ، أو في عملنا ، فقلت له : ما لي أراك مغتمّاً منذ الليلة ؟ قال : يا بنيّ ، إنّي جئت من عند أخبثِ النّاس ، قلت له : وما ذاك ؟ قال : قلت له وقد خلوت به : إنّك قد بلغت منّا يا أمير المؤمنين ، فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً فإنّك قد كبرت ، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم ، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه ، فقال لي : هيهات ، هيهات ! ! ملك أخو تيم فعدل ، وفعل ما فعل ، فوالله ما عدا أنّ هلك فهلك ذِكره ، إلّا أن يقول قائل : قال أبو بكر ، ثمّ ملك أخو عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين ، فوالله ما عدا أنّ هلك فهلك ذِكره ، إلّا أن يقول قائل : عمر ، ثمّ ملك أخونا عثمان فملك رجلٌ لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل ما عمل ، وعُمِلَ به فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذِكره ، وذكرَ ما فعل به ، وأنّ أخا هاشم يُصرَخُ بِه في كلّ يوم خمس مرّات : أشهد أنّ محمّداً رسول الله ، فأي عمل يبقى مع هذا ؟ لا أمّ لك ، والله إلّا دفناً دفناً ، وأنّ المأمون لمّا سمع هذا الخبر بعثهُ ذلك على أنّ أمر بالنداء على حسب ما وصفنا وأنشئت الكتب إلى الآفاق بلعنه على المنابر ، فأعظم النّاس ذلك وأكبروه ، واضطربت العامّة منه ، فأُشير عليه بترك ذلك ، فأعرض عمّا كان همّ به[١].

هذا ما أشار إليه المسعودي وجعله سبباً لتبرئته من معاوية ، إلّا أنّ الحقّ شيءٌ وراء ذلك ، فبرائته من معاوية وتفضيله عليّاً عليه السلام على أبي بكر وعمر أمرٌ ينطوي عليه الكثير من الدوافع والأسباب ، أعرض المؤرّخون عن ذكرها ، أو أنّها لم تقع في أيديهم بعد ، وقد عدّه السيوطي ليس شيعيّاً فحسب ، بل إنّه مفرطٌ في التشيّع ،

---

(١) مروج الذهب ٤ : ٤٨.

فما الذي دعا المأمون إلى ذلك ؟ وسيأتي تفصيله فيما بعد.

قال السيوطي : كان معروفاً بالتشيّع ، وقد حمله ذلك على خلع أخيه المؤتمن والعهد بالخلافة إلى عليّ الرضا ، كما سنذكره.

وفي سنة إحدى ومائتين خلع أخاه المؤتمن من العهد ، وجعل ولي العهد من بعده عليّ الرضا ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ، حمله على ذلك إفراطه في التشيّع... وفي سنة إحدى عشرة أمر المأمون بأن ينادى : برئت الذمّة ممّن ذكر معاوية بخير ، وإنّ أفضل الخلق بعد النبيّ عليه الصلاة والسلام عليّ بن أبي طالب.

وفي سنة اثنتي عشرة أظهر المأمون القول بخلق القرآن ، مضافاً إلى تفضيل عليّ على أبي بكر وعمر ، فاشمأزّت النفوس منه ، وكان البلد يفتتن ، ولم يلتئم له من ذلك ما أراد ، فكفّ عنه إلى سنة ثمان عشرة[1].

ورواية اليعقوبي تهدينا إلى عقيدة المأمون قولاً وعملاً ، فهو لم يقتصر على نزعته في القول فقط ، بقدر ما كان يترجمها عملاً يأخذ الآخرين بذلك.

قال اليعقوبي : وكان بشر بن الوليد الكندي ، قاضي المأمون ببغداد ، قد ضرب رجلاً قُرف بأنّه شتم أبا بكر وعمر ، وأطافه على جمل ، فلمّا قدم المأمون أحضر الفقهاء فقال : إنّي قد نظرت في قضيّتك يا بشر ، فوجدتك قد أخطأت بهذا خمس عشرة خطيئة ، ثمّ أقبل على الفقهاء فقال : أفيكم مَن وقف على هذا ؟ قالوا : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : يا بشر ، بمَ أقمت الحدّ على هذا الرجل ؟ قال : يشتم أبي بكر وعمر ، قال : حضرتك خصومة ؟ قال : لا ، قال : فوكّلوك ؟

---

(١) تاريخ الخلفاء ـ السيوطي : ٢٨٥ ، وما بعدها.

قال : لا ، قال : فللحاكم أن يقيم حدّ القُرفة[١] بغير حَضور خصم ؟ قال : لا ، قال : وكنت تأمن أن يهب بعض القوم حصّته فيبطل الحدّ ؟ قال : لا ، قال : فأمُّهما كافرتان أو مسلمتان ؟ قال : بل كافرتان ، قال : فيقام في الكافرة حدّ المسلمة ؟ قال : لا ، فقال : فهبك فعلت هذا بما يجب لأبي بكر وعمر من الحقّ ، أفيشهد عندك شاهدا عدلٍ ؟ قال : قد زكي أحدهما ، قال : فيقام الحدّ بغير شاهدين عدلين ؟ قال : لا ، قال : ثمّ أقمت الحدّ في رمضان ، فالحدود تقامُ في شهر رمضان ؟ قال : لا ، قال : ثمّ جلدته وهم قائم ، فالمحدود يقام ؟ قال : لا ، قال : ثمّ شبحته بين العقابين ، فالمحدود يُشبح ؟ قال : لا ، قال : ثمّ جلدته عرياناً ، فالمحدود يُعرّى ؟ قال : لا ، قال : ثمّ حملته على جمل ، فأطفته ، فالمحدود يُطاف به ؟ قال : لا ، قال : ثمّ حبسته بعد أن أقمت عليه الحدّ ، فالمحدود يُحبس بعد الحدّ ؟ قال : لا ، قال : لا يراني الله أبوء بإثمك وأُشاركك في جرمك ، خذوا عنه ثيابه ، وأحضروا المحدود ليأخذ حقّه منه ، فقال له من الفقهاء : الحمد لله الذي جعلك عاملاً بحقوقه ، عارفاً بأحكامه ، تقول الحقّ ، وتعمل به ، وتأمر بالعدل ، وتؤدّب من رغب عنه ، إنّ هذا يا أمير المؤمنين حاكم أجدّ برأيه فأخطأ ، فلا تفضح به الحكّام ، وتهتك به القضاء ، فأمر به فحبس في داره حتّى مات[٢].

على أنّ المأمون لم يعاقبه على ما ارتكبه من أخطاء بقدر ما أراد معاقبته على أصل مشروعيّة الحدّ واستحقاقه ، فإنّ شتم أبي بكر وعمر لا يوجبان الحدّ في رأيه ، وأشار إلى ذلك في قوله : «فهبك فعلت هذا بما يجب لأبي بكر وعمر من الحقّ» ، أي أنّه تنزّل إلى استحقاق الحدّ في شتمهما ولم يكن مسلّماً بذلك.

---

(١) القرفة : التهمة الباطلة.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٢٧.

تشيّع المأمون في الميزان :

أثارت ولاية العهد التي عقدها المأمون العباسي للإمام الرضاعليه السلام ، قلق البيت العباسي وسخطه ، كما أثارت في الوقت نفسه اضطراب المؤرخين في تحليل وتقييم وتصويب أو تخطئة «المبادرة المأمونية» هذه .

فالمؤرخ ، والمحلل السياسي ، والمفكر والمنّظر والكاتب والقارئ وغيرهم ، كل أولئك انطلق من وجهة نظره يساهم في حل «لغز» هذه المبادرة .

والحقيقة ، أن المقدمات التي إعتمد عليها الجميع في دراسة هذا الموقف تنطلق من النظرة الخاصة التي تشارك في صياغة الشخصية المحلِلة للحدث ، فهي على مفترق الطرق ، لكنها تجمعها أخيراً معرفة الأسباب الكامنة وراء هذه العملية التي أطاحت بالنظرة العباسية السالفة والتقليد السياسي الموروث الذي التزمه البيت العباسي في استبعاد العلويين من الحكم بحجة عجزهم وفشلهم وعدم لياقتهم لادارة النظام ، وإذا بالمأمون العباسي يعلن على الملأ الإسلامي أن الفضل والعلم والكرم واللياقة والورع والتقوى كلها تجتمع في شخص على بن موسى الرضا ، وهو أهل للخلافة والإمامة .

فما الذي دفع المأمون لذلك ، هل هو الاعتقاد الخالص بصحة ما أقدم عليه ؟ أم هي اللعبة السياسية التي يتبناها المأمون لإظهار مقدرته على ترويض الأزمات واستخدامها لصالحه ؟

أم هي التجربة الفاشلة في حساباته لإظهار عجز وفشل آل البيت في الحكم ؟

أم لأسباب كامنة أخفاها التاريخ أو موهت عليها السياسة وأخفتها المصالح ؟

ظروف «الخلافة المأمونية»:

واجهت خلافة المأمون حالة استثنائية من المعارضة الشديدة التي زعزعت الأمن وقوضت الاستقرار، وأدت إلى إرتجاج الثقة المتبادلة بين الخليفة السياسي وبين البيت العباسي نفسه، وذلك بعد مقتل الأمين على يد المأمون، حتّى شعر العباسيون بفقدان الهيبة السياسية التي ورثوها من أسلافهم الأقدمين.

لقد كانت المعارضة القائمة إبّان عهد المأمون هي معارضة واحدة لوجهين مختلفين متباينين، فالمعارضة العباسية السياسية تباين المعارضة العلوية السياسية المسلحة، وكلا المعارضتين تتفقان على هدف واحد وهو إسقاط الخليفة القائم، فالعباسيون يهدفون من معارضتهم هذه ابقاء الشرعية المزعومة وحق الخلافة للبيت العباسي، والعلويون يهدفون إلى تقويض البيت العباسي وإنتقال الخلافة إلى البيت الشرعي وهم آل علي من الهاشميين، وهكذا كل ينافح لأجل هدفه، فأولئك يعملون على تقوية شرعية البيت العباسي، وهؤلاء يعملون على سحب الشرعية المزعومة، فكان الإختلاف في الأهداف قد أدى إلى الإختلاف في الأساليب، وبالتالي ظهور المعارضة العباسية الجديدة لا يعني تأييد المعارضة العلوية الأصيلة، لاختلاف المبادئ وتباين الأهداف.

إنّ مجزرة الأمين ومقتله من قبل المأمون، وتقديم العنصر الفارسي ونقل الخلافة من بغداد إلى خراسان، والتقرب السياسي للعلويين، كل ذلك أثار حفيظة العباسيين وأفزعهم، ووجدوا أن خليفتهم الجديد لن يلتزم بأبسط تقاليد الأسرة العباسية وهي إعلان العداء لآل علي والتنكيل بهم وتقتيلهم، ورأوا أن قتل المأمون للأمين أضعف شوكتهم وكسر هيبتهم، وكان لانتقال العاصمة الإسلامية من بغداد إلى خراسان ضربة سياسية أربكت التشكيلة الأسرية العباسية القاطنة

في العاصمة بغداد وزعزعت هيبتهم، لذا عمدوا إلى التمرد على جميع قرارات الخليفة وخلعهِ ومبايعة عمه إبراهيم بن المهدي وأعلنوا بغداد عاصمة لهم، وكان العرب من وراء هذه الحركة لما رأوا ميل المأمون إلى أهل فارس وتقديمهم وجعل العنصر العربي عنصراً ثانوياً في مراسم الخلافة العباسية.. لقد ارتمى إليهم عناداً لأهل اليمن الكارهين له، ومكابرة لربيعة التي نافست المضريين وقد بُعث منهم رسول الله ﷺ، وهكذا نفلسفت «قومية» المأمون فانحازت إلى غير أُصولها، تخالطها تحفظات سياسية خفية.

روى الطبري عن محمد بن علي بن صالح السرخسي قال: تعرض رجل للمأمون بالشام مراراً، فقال له: يا أمير المؤمنين، انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم أهل خراسان، فقال: أكثرت عليّ يا أخا أهل الشام، والله ما أنزلت قيساً عن ظهور الخيل إلاّ وأنا أرى أنه لم يبق في بيت مالي درهم واحد، وأما اليمن، فوالله ما احببتها ولا احبتني قط، وأما قضاعة فسادتها تنتظر السفياني وخروجه فتكون من اشياعه، وأما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث نبيه من مضر، ولم يخرج اثنان إلاّ خرج أحدهما شارياً، أُغرب فعل الله بك[1] ويمكن القول أن هذه النظرة قد أتاحت للمأمون أن ينطلق من أُسار تقليديته القومية ليخوض في مديات علمية جديدة ويستفيد من منابع ثقافية جديدة غير تلك التي التزم بها أباؤه، فقد تفتح على علوم الفلك والهيئة والحساب والهندسة إلى غير ذلك مع احتفاظه بثقافته العربية التي أثرته بالأدب العربي وأحوال الشعراء وغير ذلك.

ان ذلك لا يعني تصحيحاً أو تبريراً لما أقدم عليه المأمون فان رجلاً سياسياً

---

(١) تاريخ الطبري ٨: ٦٥٢ دار سويدان ـ بيروت، وكذا رواه ابن الاثير في الكامل ٥: ٢٣٠ دار الكتاب العربي.

يجعل الهدف السياسي في مقدمة تطلعاته، لا يمكن الاعتماد على رؤيته الجديدة سواء «تشيعه المُدّعى» أو في فلسفته الجديدة المناهضة لتطلعات بني أبيه.

من ناحية أُخرى كان العلويون يرون استمرارية حقهم في المعارضة المسلحة، فإن اغتصاب الخلافة من البيت العلوي هي النظرية التي أطّرت جميع إطروحات المعارضة والكفاح المسلح ضد العباسيين، ووجدوا أن التواني عن المطالبة بحقوقهم هو التفريط بالدماء التي سفكت من قبلْ لأجل استرداد حقهم المغتصب، وأن المأمون العباسي لم يكن إلّا رجلاً سياسياً مناوراً استخدم مناوراته السياسية للتقرب من العلويين لضرب العلويين أنفسهم وافشال جميع خططهم وإسكات معارضتهم، وهي العملية التكتيكية التي لا ينبغي للعلويين إنجاحها وتمرير خطط النظام الحاكم من خلالها، لذا استمرت المعارضة العلوية بل قويت أثناء الخلافة المأمونية، مما حدى بالمأمون إلى كسب ود المعارضة العلوية المسلحة التي هي الأقوى في حساباته السياسية، ثمّ إقصائها بالقضاء عليها وتصفيتها بعد إسكاتها، وكسب ود الفرس الذين يتشيعون لآل البيت عليهم السلام، ورأى أن المعارضة العباسية لم تكن سوى معارضة سياسية لم تصل إلى حد السيف، فكانت الحكمة إيجاد مخرج سياسي من الأزمة الخانقة هذه ولا تكون إلّا بعقد البيعة للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وإظهار المصالحة والتقرب إليه وإمكانية التعامل الوقتي معه إلى حين استتباب الأمور والقضاء على الحركات العلوية المسلحة وإخماد أنفاس المعارضة السياسية.

لقد كان الإمام الرضا عليه السلام عالماً بنوايا المأمون السياسية، وعارفاً بالعملية التكتيكية التي لابد للمأمون من ارتكابها، مما دعا الإمام عليه السلام إلى رفض هذه المناورة، لكن تهديد المأمون عاجله باتخاذ ما يلزم وأجبره على السكوت، والتسليم إلى الواقع السياسي العنيف الذي استعد لتحطيم كل العقبات التي تقف

في طريق مشاريعه السياسية الجديدة ، وكان الإمام الرضاعليه السلام كارهاً للدخول في أي برنامج سياسي من هذا النوع ، غير راضٍ لإبداء أي تعاون مع النظام ، وذلك لمعرفتهعليه السلام أن النظام لا يتعامل معه إلّا من منطلق سياسي مصلحي وليس للإصلاح السياسي أو الإجتماعي وزنٌ في حسابات النظام ، وكان الإمام يطمح إلى الإصلاح السياسي والإجتماعي والأخلاقي والإقتصادي من خلال أية أُطروحة إصلاحية صادقةٍ ، ومحاولة تغييرية جدية تتكامل فيها مقومات الإصلاح ومتطلبات التغيير . والإمام بعد هذا كله لم يكن متشوقاً للوصول إلى الحكم عن طريق مشاريع النظام ، بل يجد من نفسه «أهليّة للخلافة مضيّعة» من قبل الأُمّة وقد فرّطت بالشرعية الإلٰهية للخلافة وسكتت عن إنتزاء القوى السياسية المضادة لآل البيت على دست الحكم ، فالامام لو كان راغباً بالحكم عن غير الطريق الشرعي الذي يوصله إلى الحكم أو بالبيعة الرمزية من قبل الأُمّة ، لكان قبل هذا الوقت قد عمل على أخذ السلطة بالمناورات السياسية والتكتيك المسلح ، لكنّه رأى الظرف لم يكن ملائماً لاعلان الثورة الإصلاحية والكفاح المسلح كما فعل جده الحسين من قبل ، حيث رأى جده الحسين جدية الظروف للقيام بأية ثورة إصلاحية ، وملائمة الظرف السياسي وصدق التكامل الروحي والمعنوي للقوة المسلحة الملتفة حوله ، لذا أعلن ثورته المسلحة ، فكانت نتائجها تثبيت مشروعية خلافة آل البيت في أذهان الأُمّة والنظر إلى أي نظام حاكم من غير آل البيت على أنّه نظام مغتصب غير مشروع .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر بادر الإمام الرضاعليه السلام إلى إفشال جميع مخططات المأمون الهادفة إلى التمويه بأن أهل هذا البيت إنما نازعوهم على أمر السلطان ، وكانت معارضتهم للانظمة إنّما هي لحرمانهم من الحكم الذي يتشوقون للوصول إليه ، ويتطلعون للسعي من ورائه ، ولم تكن معارضتهم فكرية

كما يدعون ، لذا فإن قبول الرضا بولاية العهد هو دليل على صحة الدعوى التي أدخلها النظام في روع صنائعه السياسيين فضلاً عن السذج السطحيين ، وسيكون تولي الرضا لأي مركز سياسي حكومي تأكيد على إبداء عجزه الاداري فضلاً عن السياسي فكيف يتصدون لمعارضة النظام وهم غير مؤهلين بعدُ لأيِ منصبٍ حكومي في الدولة ؟

لذا بادر الإمام الرضا عليه السلام إلى إفشال جميع هذه المخططات بعد إعلانه عن عدم رغبته مطلقاً للاستجابة لدعوة المأمون العباسي لولاية العهد ، وعلم بذلك العام والخاص ، فأحبط بذلك مدّعيات النظام ، فضلاً عما أبداه الإمام الرضا من مهارة سياسية عاجل فيها كل المستجدات الطارئة التي ألمّت بالمأمون العبّاسي بعد فزعه إليه ولجوئه إلى الإستغاثة به لحل الأزمات التي أوجدها وزرائه وأهل خاصته ، على ما تذكره مطولات السير والتاريخ ، فراجع .

الانعطافات الفكرية لدى المأمون ... إعتقاد راسخ ، أم تكتيك مبرمج ؟

كان مما ذكرناه الانعطاف الذي حدث في الحياة السياسية الجديدة للمأمون وبينّا بعض الملابسات التي رافقت هذه المستجدات والتحولات التي أحدثت نقلةً جديدة للمعارضتين العباسية والعلوية على حد سواء ، فعلى صعيد المعارضة العباسية ، إرتبكت النظرة التقليدية السائدة لدى العامة بأن الحكم العباسي لم يكن راغباً في إستبعاد آل علي من الحكم ، بل أقر لهم بالفضل والمنزلة وأهلّية الخلافة ورغبة النظام إلى توطيد العلاقة بينه وبين العلويين ، لذا تراجع التأييد الشعبي للمعارضة العباسية وإضمحلت إلى معارضة خفية تجول في صدور خاصة البيت العباسي لعدم وجود متنفسٍ تطلق فيها إستنكارها للسياسة الجديدة ، فضلاً عما اتخذه المأمون العباسي من ترتيبات أمنية احترازية

لاحباط أي تحرك مضادٍ لما عزم عليه من الإرسال إلى الإمام الرضا وعقد ولاية العهد له، هذا من جانب المعارضة العباسية، أمّا من جانب المعارضة العلوية المسلحة فقد نشطت لاحباط أي مخطط يسعى للالتفاف عليها وإسكاتها بأي تمييع سياسي مبرمج، أو أية مناورة سياسية أُخرى، حيث علمت المعارضة العلوية أن عدم الجدية التي رافقت عقد ولاية العهد ما هي إلّا محاولة لعزل الإمام الرضا عن قواعده وإبعاده عن مركز تحركاته الحرة ذات الثقل السياسي فضلاً عن الديني، وهي المدينة المنورة التي تعتبر المركز التقليدي الموروث لآل البيت عليهم‌السلام، وجعل تحركات الإمام الرضا تحت نظر السلطة مباشرة، لذا لم تتوانى المعارضة العلوية عن إعلان استنكارها ورفضها لهذا التصالح الموهوم.

هذا على مستوى الانعطاف السياسي ونتائجه، أمّا على مستوى الانعطافات الفكرية والعقائدية التي أحدثتها سياسة المأمون الجديدة، فبالرغم من كونها جزءاً من المشاريع السياسية المبرمجة، أملتها ظروف تاريخية معلومة، إلاّ أنّها كانت رفداً مهماً لمشروعية مدرسة النص، وتأييداً على المدى البعيد لفكر آل البيت عليهم‌السلام، فضلاً عن المدى القريب ولو بقدر محدودٍ، حيث بادر المأمون العباسي إلى التزام مبدأ أحقية آل البيت عليهم‌السلام ـ الشعار الذي رفعه العباسيون أوّل مرّة للاطاحة بالحكم الاموي ـ، والتلويح إلى انتزاء المهاجرين على الخلافة مع وجود مَنْ هو أحق منهم، والتصريح تارة أُخرى في تصوير الخطأ الذي ارتكبه الأُوَلْ في استبعاد عليّ عن حقّه الشرعي في الخلافة، كما التزم مبدأ فتح الحوار العلمي بينه وبين علماء بني العباس، محاولة منه لأخذ التأييد والاعتراف بما ذهب إليه ظاهراً، مع ما لاقى من سخط آله عليه، أو التعامل مع ما ذهب إليه على أساس المجاملة فقط على أقل تقدير.

عقد المأمون العباسي مناظرات علمية بينه وبين علماء أهل السنة حاول فيها

إثبات أحقية آل البيت، وكسب الجولات العلمية حتّى أثبت مهارته في هذا المجال، ولعل ما كان من مناظرته التي سنذكرها بحضور القاضي يحيىٰ بن أكثم وحماد بن زيد وغيرهم من قضاة الدولة وعلمائها، هي من أهم ما سجلته لنا جهود المأمون الفكرية في خصوص انعطافاته السياسية والعقائدية، ولعلها أخطر منازلةٍ يجري فيها تحديد مصير مدرسة الإجماع أنذاك والتي من خلالها سجلت هذه المدرسة تراجعاً ملحوظاً على المستوى الفكري والعقائدي، وستوقفنا هذه المناظرة آخيراً على معالم مدرستي النص والإجماع فضلاً عن بعض معالم المأمون المجهولة وإليك نص المناظرة:

عن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل عن حماد بن زيد قال بعث إلي يحيى بن أكثم وإلى عدة من أصحابي وهو يومئذ قاضي القضاة فقال: إن أمير المؤمنين ـ يعني المأمون ـ أمرني أن أحضر معي غداً مع الفجر أربعين رجلاً كلهم فقيه يفقه ما يقال له ويحُسن الجواب فسموا من تظنونه يصلح لما يطلب أمير المؤمنين فسمينا له عدة وذكر هو عدة حتّى تم العدد الذي أراد وكتب تسمية القوم وأمر بالبكور في السحر وبعث إلى من لم يحضر فأمره بذلك فغدونا عليه قبل طلوع الفجر فوجدناه قد لبس ثيابه وهو جالس ينتظرنا فركب وركبنا معه حتّى صرنا إلى الباب فإذا بخادم واقف فلما نظر الينا قال: يا أبا محمّد أمير المؤمنين ينتظرك.. إلى أن قال فلما استقر بنا المجلس عند المأمون قال.. قال المأمون بعد أن سألهم في الفقه مسائل: إنّي لم أبعث فيكم لهذا ولكنني أحببت أن أُنبئكم أن أمير المؤمنين أراد مناظرتكم فيمذهبه الذي هو عليه والذي يدين الله به. قلنا فليفعل أمير المؤمنين وفقه الله.

فقال: إن أمير المؤمنين يدين الله على أن علي بن أبي طالب خيرُ خلق الله

بعد رسولهﷺ وأولى النّاس بالخلافة له.

قال إسحاق: فقلت يا أمير المؤمنين إن فينا من لا يعرف ما ذكر أمير المؤمنين في علي، وقد دعانا أمير المؤمنين للمناظرة.

فقال يا إسحاق اختر، إن شئت سألتك أسألك، وإن شئت أن تسأل فقل.

فقال إسحاق فاغتنمتها منه، فقلت بل أسألك يا أمير المؤمنين، قال: سل، قلت من أين قال أمير المؤمنين إن علي بن أبي طالب أفضل النّاس بعد رسول الله وأحقهم بالخلافة بعده؟

قال: يا إسحاق خبرني عن الناس بم يتفاضلون حتّى يقال فلان أفضل من فلان؟

قلت: بالأعمال الصالحة.

قال: صدقت، قال فأخبرني عمن فضل صاحبه على عهد رسول اللهﷺ، ثمّ أن المفضول عمل بعد وفاة رسول الله بأفضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله أيُلحق به؟ قال فأطرقت، فقال لي: يا إسحاق لا تقل نعم، فإنك ان قلت نعم أوجدتك في دهرنا هذا من هو أكثر منه جهاداً وحجاً وصياماً وصلاة وصدقةً. فقلت أجل يا أمير المؤمنين، لا يلحق المفضول على عهد رسول اللهﷺ الفاضل أبداً.

قال: يا إسحاق فانظر ما رواه لك أصحابك ومن أخذت عنهم دينك وجعلتهم قدوتك من فضائل علي بن أبي طالب فقس عليها ما أتوك به من فضائل أبي بكر، فإن رأيت فضائل أبي بكر تشاكل فضائل علي فقل أنّه أفضل منه، لا والله، ولكن فقس إلى فضائله ما رُوي لك من فضائل أبي بكر وعمر فإن وجدت لهما من الفضائل ما لعلي وحده، فقل: إنّهما أفضل منه، ولا والله ولكن قس إلى فضائله

فضائل أبي بكر وعمر وعثمان ، فإن وجدتها مثل فضائل علي فقل: إنّهم أفضل منه لا والله ولكن قس بفضائل العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنة ، فإن وجدتها تشاكل فضائله فقل: إنّهم أفضل منه .

قال: يا إسحاق أي الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسوله ؟ قلت: الإخلاص والشهاده .

قال: أليس السبق إلى الإسلام ؟ قلت: نعم .

قال: إقرأ ذلك في كتاب الله تعالى يقول: ﴿**والسَابِقُونَ السَابِقُونْ * أُولَـٰئِكَ المُقَرَبُونْ**﴾[1] إنّما عنى من سبق إلى الإسلام ، فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الإسلام ؟ قلت: يا أمير المؤمنين إن علياً أسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم ، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم .

قال: أخبرني أيهما أسلم قبل ، ثمّ أناظرك من بعده من الحداثة والكمال . قلت: عليٌ أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة .

فقال: نعم ، فأخبرني عن إسلام علي حين أسلم ، لا يخلو من أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاماً من الله ؟

قال: فأطرقتُ .

فقال لي: يا إسحاق لا تقل إلهاماً فتقدمه على رسول الله صلى الله عليه وآله لأن رسول الله لم يعرف الإسلام حتّى أتاه جبريل عن الله تعالى ، قلت: أجل ، بل دعاه رسول الله إلى الإسلام .

قال: يا إسحاق فهل يخلو رسول الله صلى الله عليه وآله حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلّف ذلك من نفسه ؟ قال: فأطرقت ، فقال: يا إسحاق لا تنسب

---

(١) سورة الواقعة: الآيتان ١٠ و ١١.

رسول الله إلى التكلف فإن الله يقول: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[١] قلت: أجل يا أمير المؤمنين، بل دعاه بأمر الله.

قال: فهل من صفة الجبار جل ثناؤه أن يكلّف رسلهُ دعاء من لا يجوز عليه حكمٌ؟ قلت: أعوذ بالله.

فقال: أفتراه في قياس قولك يا إسحاق أن علياً أسلم صبياً لا يجوز عليه الحكم قد كلف رسول الله صلى الله عليه وآله من دعاء الصبيان مالا يطيقون، فهو يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء ولا يجوز عليهم حكم الرسول عليه السلام، أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى الله عزّوجلّ؟ قلت: أعوذ بالله.

قال: يا إسحاق فأراك إنّما قصدت لفضيلة فضّل بها رسول الله صلى الله عليه وآله علياً على هذا الخلق، أبانه بها منهم ليُعرف مكانهُ وفضله، ولو كان الله تبارك وتعالى أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا علياً؟ قلت: بلى.

قال: فهل بلغك أن الرسول صلى الله عليه وآله دعا أحداً من الصبيان من أهله وقرابته لئلا تقول أن علياً ابن عمه؟ قلت: لا أعلم ولا أدري فعل أو لم يفعل.

قال: يا إسحاق أرأيت مالم تدره ولم تعلمه هل تُسأل عنه؟ قلت: لا، قال: فدع ما قد وضعه الله عنا وعنك.

قال: ثمّ أي الأعمال كانت أفضل بعد السبق إلى الإسلام؟ قلت: الجهاد في سبيل الله.

قال: صدقت فهل تجد لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ما تجد لعلي في الجهاد؟ قلت: في أي وقت؟ قال: في أي الأوقات شئت، قلت: بدر؟ قال: لا أُريد غيرها، فهل تجد لأحد إلادون ما تجد لعلي يوم بدر؟ أخبرني كم قتلى

---

(١) سورة ص: الآية ٨٦.

بدر ؟ قلت: نيف وستون رجلاً من المشركين ، قال: فكم قتل علي وحده ؟ قلت: لا أدري ،قال: ثلاثة وعشرين أو إثنين وعشرين والأربعون لسائر الناس .

قلت: يا أمير المؤمنين كان أبو بكر مع رسول الله ﷺ في عريشه ، قال: يصنعُ ماذا ؟ قلت: يدير ، قال: ويحك ، يدير دون رسول الله أو معه شريكاً أو افتقاراً من رسول الله ﷺ إلى رأيه ؟ أي الثلاث أحب إليك ؟ قلت: أعوذ بالله أن يدير أبو بكر دون رسول الله ﷺ أو يكون معه شريكاً أو أن يكون برسول الله ﷺ افتقاراً إلى رأيه .

قال: فما الفضيلة بالعريش إذا كان الأمر كذلك ؟ أليس من ضرب بسيفه بين يدي رسول الله ﷺ أفضل ممّن هو جالس ؟ قلت: يا أمير المؤمنين كل الجيش كان مجاهداً .

قال: صدقت ، كلّ مجاهد ، ولكن الضارب بالسيف المحامي عن رسول الله ﷺ وعن الجالس أفضل من الجالس ، أما قرأت كتاب الله **﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ والمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَىٰ الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللهُ الحُسنىٰ وفَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ عَلَىٰ القَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾**[1] . قلت: وكان أبو بكر وعمر مجاهدين .

قال: فهل كان لأبي بكر وعمر فضلٌ على مَنْ لم يشهد ذلك المشهد ؟ قلت: نعم ، قال: فكذلك سبق الباذل نفسهُ فضل أبي بكر وعمر قلت: أجل .

قال: يا إسحاق تقرأ القرآن ؟ قلت: نعم .

قال: إقرأ عليّ **﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَىٰ الإنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئَاً مَذْكُوراً﴾**

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٥.

فقرأت منها حتّى بلغت ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾[1].

قال: على رسلك، فبمن أُنزلت هذه الآيات؟ قلت: في علي.

قال: فهل بلغك أن علياً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير، قال: إنّما نطعمكم لوجه الله؟ وهل سمعت الله وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف به علياً؟ قلت: لا.

قال: صدقت، لأن الله جل ثناؤه عرّف سيرته، يا إسحاق ألست تشهد أن العشرة في الجنة؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين، قال: أرأيت لو أن رجلاً قال: والله ما أدري هذا الحديث صحيح أم لا، ولا أدري إن كان رسول الله قاله أم لم يقله، أكان عندك كافراً؟ قلت: أعوذ بالله.

قال: أرأيت لو أنّه قال: ما أدري هذه السورة من كتاب الله أم لا، كان كافراً؟ قلت: نعم.

قال: فهل تعرف حديث الطير؟ قلت: نعم، قال: فحدثني به، قال: فحدثته الحديث، فقال: يا إسحاق اني كنت أكلمك وأنا أظنك غير معاند للحق، فأما الآن فقد بان لي عنادُك، إنّك توقن أن هذا الحديث صحيح؟ قلت: نعم، رواه من لا يمكنني رده.

قال: أفرأيت من أيقن أن هذا الحديث صحيح، ثمّ زعم أن أحداً أفضلُ من علي، لا يخلو من أحدى ثلاثة: من أن تكون دعوة رسول الله ﷺ عنده مردودة عليه، أو أن يقول عرف الفاضل من خلقه وكان المفضول أحب إليه، أو أن يقول

---

(١) سورة الإنسان: الآيات ١، ٥، ٨.

إن الله عزّ وجلّ لم يعرف الفاضل من المفضول، فأي الثلاثة أحب إليك أن تقول؟ فأطرقت، ثمّ قال: يا إسحاق لا تقل منها شيئاً، فإنك أن قلت منها شيئاً استتبتُك وإن كان للحديث عندك تأويل غير هذه الثلاثة الأوجه فقلة قلت: لا أعلم، وإن لأبي بكر فضلاً.

قال: أجل، لولا أن له فضلاً لما قيل إن علياً أفضل منه، فما فضلهُ الذي قصدت له الساعة؟ قلت: قوله الله عزّوجلّ ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[1] فنسبه إلى صحبته.

قال: يا إسحاق أمّا إنّي لا أحملك على الوعر من طريقك، إنّي وجدت الله تعالى نسب إلى صحبة من رضيه ورضي عنه كافراً وهو يقول قوله ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾[2].

قلت: إن ذلك صاحبٌ كان كافراً، وأبو بكر مؤمن.

قال: فإذا جاز أن ينسب إلى صحبة نبيه مؤمناً وليس بأفضل المؤمنين ولا الثاني ولا الثالث، قلت: يا أمير المؤمنين ان قدر الآية عظيم، إن الله يقول ﴿**ثاني إثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحِبه لا تحزن إن الله معنا**﴾.

قال: يا إسحاق تأبى الآن إلاّ أن أخرج إلى الاستقصاء عليك، أخبرني عن حزن أبي بكر أكان رضاً أم سخطاً؟ قلت: أن أبا بكر إنّما حزن من أجل رسول الله ﷺ خوفاً عليه وغماً أن يصل إلى رسول الله شيء من المكروه.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٤٠.

(٢) سورة الكهف: الآيتان ٣٧ و ٣٨.

قال: ليس هذا جوابي إنّما كان جوابي أن تقول رضا أم سخط، قلت: بل كان رضاً لله.

قال: فكان الله جل ذكرهُ بعث إلينا رسولاً ينهي عن رضا الله عزّوجلّ وعن طاعته؟ قلت: أعوذ بالله.

قال: أوليس قد زعمت أن حزن أبي بكر رضاً لله؟ قلت بلى قال: أولم تجد أن القرآن يشهد أن رسول الله ﷺ قال ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ نهياً عن الحزن؟ قلت: أعوذ بالله.

قال: يا إسحاق أن مذهبي الرفق بك لعل الله يردك إلى الحق ويعدل بك عن الباطل لكثرة ما تستعيذ به، وحدثني عن قول الله ﴿فَأَنزَلَ اللهُ سكينتهُ عَلَيْه﴾ من عنى بذلك، رسول الله أم أبا بكر؟ قلت: بل رسول الله، قال: صدقت، قال: حدثني عن قول الله عزّوجلّ ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، أتعلم مَنْ المؤمنون الذين أراد الله في هذا الموضوع؟ قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين قال: جميعاً انهزموا يوم حنين، فلم يبق مع رسول الله ﷺ إلّا سبعة نفر من بني هاشم، علي يضرب بسيفه بين يدي رسول الله، والعباس آخذٌ بلجام بغلة رسول الله والخمسة محدقون به خوفاً من أن يناله من جراح القوم شيء حتّى أعطى الله لرسوله الظفر، فالمؤمنون في هذا الموضع عليّ خاصة، ثمّ من حضره من بني هاشم، قال: فمن أفضل؛ من كان مع رسول الله ﷺ في ذلك الوقت أم من انهزم عنه ولم يره الله موضعاً يُنزلها عليه؟ قلت: بل من أنزلت عليه السكينة.

قال: يا إسحاق من أفضل؛ من كان معه في الغار أم من نام على فراشه ووقاه

---

(١) سورة التوبة: الآيتان ٢٥ و ٢٦.

بنفسه حتّى تم لرسول الله ﷺ ما أراد من الهجرة ؟ إن الله تبارك وتعالى أمر رسول الله ﷺ بذلك فبكى عليّ ﵁ ، فقال له رسول الله ﷺ : ما يبكيك يا علي أجزعاً من الموت ؟ قال: لا والذي بعثك بالحق يا رسول الله ولكن خوفاً عليك ، أفتسلم يا رسول الله ؟ قال: نعم ، قال: سمعاً وطاعة وطيبة نفسي بالفداء لك يا رسول الله ، ثمّ أتى مضجعه واضطجع وتسجّى بثوبه وجاء المشركون من قريش فحفوا به ، لا يشكّون أنّه رسول الله ﷺ وقد أجمعوا أن يضربه من كل بطن من بطون قريش رجلٌ ضربةً بالسيف لئلا يطلب الهاشميون من البطون بطناً بدمه ، وعليٌ يسمع ما القوم فيه من إتلاف نفسه ، ولم يدعه ذلك إلى الجزع كما جزع صاحبُه في الغار ولم يزل عليٌ صابراً محتسباً ، فبعث الله ملائكته ، فمنعته من مشركي قريش حتّى أصبح ، فلما أصبح قام فنظر القوم إليه فقالوا: أين محمّد ؟ قال: وما علمي بمحمّد أين هو ؟ قالوا: فلا نراك إلّا مغرراً بنفسك منذ ليلتنا ، فلم يزل علي أفضل ما بدأ به ، يزيد ولا ينقص حتّى قبضه الله إليه .

يا إسحاق هل تروي حديث الولاية ؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين قال: اروِه ، ففعلت قال: يا إسحاق أرأيت هذا الحديث هل أوجب على أبي بكر وعمر مالم يوجب لهما عليه ؟ قلت: إن الناس ذكروا أن الحديث إنّما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين علي ، وأنكر ولاء علي فقال رسول الله ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهم والي من والاه وعاد من عاداه .

قال: في أي موضع قال هذا ، أليس بعد منصرفه من حجّة الوداع ؟ قلت: أجل . قال: فإنَّ قتل زيد بن حارثة قبل الغدير ، كيف رضيت لنفسك هذا ؟ أخبرني: لو رأيت ابناً لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول: مولاي مولى ابن عمي ، أيّها النّاس فاعلموا ذلك ، أكنت منكراً ذلك عليه: تعريفه الناس ما لا ينكرون

ولا يجهلون ؟ فقلت : اللّهمّ نعم .

قال : يا إسحاق افتنزه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ وَيْحَكم ! لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم ، إن الله جل ذكره قال في كتابه ﴿ **ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ** ﴾[1] وإن لم يصلوا لهم ولا صاموا ولا زعموا أنّهم أرباب ولكن أمروهم فأطاعوا أمرهم ، يا إسحاق أتروي حديث « **أنت مني بمنزلة هارون من موسى** » ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين قد سمعته وسمعتُ من صححه وجحده .

قال : فمن أوثقُ عندك من سمعت منه فصححه أو من جحده ؟ قلت : من صححه .

قال : فهل يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله مزح بهذا القول ؟ قلت : أُعوذُ بالله قال : فقال قولاً لا معنى له ولا يوقف عليه ؟ قلت : أعوذ بالله .

قال : أفما تعلم أن هارون كان أخا موسى لأبيه وأُمّه ؟ قلت : بلى ، قال : فعليٌ أخو رسول الله لأبيه وأُمّه ؟ قلت : لا .

قال : أوليس هارون كان نبياً وعلي غير نبي ؟ قلت : بلى .

قال : فهذان الى الآن معدومان في علي وقد كانا في هارون ، فما معنى قوله : أنت مني بمنزلة هارون من موسى ؟ قلت له : إنّما أراد أن يطيّب بذلك نفس علي لما قال المنافقون إنّه خلّفه استثقالاً له .

قال : فأراد أن يطيّب نفسه بقول لا معنى له ؟ قال : فأطرقت .

قال : يا إسحاق له معنى في كتاب الله بيِّن قلت : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : قوله عزّوجلّ حكايةً عن موسى إنّه قال لأخيه هارون : ﴿ **ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ**

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣١.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[١] قلت: يا أمير المؤمنين إن موسى خلّف هارون في قومه وهو حي، ومضى إلى ربه، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله خلّف علياً كذلك حين خرج إلى غزاته.

قال: كلا ليس كما قلت، أخبرني عن موسى حين خلف هارون: هل كان معه حين ذهب إلى ربه أحدٌ من أصحابه أو أحدٌ من بني إسرائيل؟ قلت: لا. قال: أوليس استخلفه على جماعتهم؟ قلت: نعم.

قال: فأخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وآله حين خرج إلى غزاته: هل خلّف إلّا الضعفاء والنساء والصبيان، فأنى يكون مثل ذلك؟ وله عندي تأويل آخر من كتاب الله يدل على استخلافه إيّاه، لا يقدر أحدٌ أن يحتج فيه ولا أعلم أحداً احتج به، وأرجو أن يكون توفيقاً من الله، قلت: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: قوله عزّوجلّ حين حكى عن موسى قوله ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي * هَٰرُونَ أَخِي ٱشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً﴾[٢] فأنت مني يا علي بمنزلة هارون من موسى: وزيري من أهلي، وأخي شد الله به أزري، وأشركهُ في أمري كي نسبح الله كثيراً ونذكره كثيراً، فهل يقدر أحدٌ أن يُدخل في هذا شيئاً غير هذا ولم يكن ليبطل قول النّبيّ صلى الله عليه وآله وأن يكون لا معنى له؟

قال: فطال المجلس وارتفع النهار، فقال يحيى بن أكثم القاضي: يا أمير المؤمنين أوضحت الحق لمن أراد الله به الخير، وأثبتّ ما لايقدر أحد أن يدفعه، قال إسحاق: فأقبل علينا وقال: ما تقولون؟

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٤٢.

(٢) سورة طه: الآيات ٢٩ ـ ٣٥.

فقلنا: كلنا نقول بقول أمير المؤمنين أعزه الله.

فقال والله لولا أن رسول الله ﷺ قال اقبلوا القول من النّاس ماكنت لأقبل منكم القول، اللّهُمَّ قد نصحت لهم القول، اللّهُمَّ إنّي قد أخرجت الأمر من عنقي، اللّهُمَّ إنّي أدينك بالتقرب إليك بحب عليٍّ وولايته[١].

أقول: إنّما أوردت هذا الخبر بطوله وذلك للاستفادة منه في أمور:

١ ـ كان الخبر عرضاً لمدرستين كلاميتين: إحداهما مدرسة الإمامية القائلة بالنص على خلافة علي بن أبي طالب، والثانية مدرسة الإجماع وآراء نظرية أهل الحل والعقد.

٢ ـ امتاز هذا الخبر بالأهمية العلمية والموضوعية، وذلك لالتزام مذهب المدرسة الإمامية في المناظرة السالفة الخليفة العباسي المأمون والذي عُرف بموقفه السيىء من القيادة الشرعية لآل البيت، فقد كان إقدامه على قتل الإمام عليبن موسى الرّضا مظهراً آخر من سلسلة التصفيات الجسدية التي أقدم عليها بنو العبّاس لابادة آل البيت عليهم السلام وحلقة اُخرى من المؤامرات المبتذلة التي حيكت للإطاحة بالشرعية الإلٰهية المتمثلة بآل البيت عليهم السلام، ومع هذا فقد إلتزم في هذه المناظرة جانب حقوق آل البيت ومثّله أحسن تمثيل، وكان الطرف المقابل للمناظرة العلمية والممثل لمدرسة الإجماع، إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل الذي كان فقيهاً من فقهاء مدرسة أهل السنة وقد شغل منصب القضاء إبّان عهد المأمون لفترة من الزمن، ثمّ نقل هذا الخبر الفقيه أحمد بن محمّد بن عبد ربه الأندلسي، المعروف بموقفه المتشنج من حقوق آل البيت، والذي اشترك في

---

(١) العقد الفريد ـ ابن عبد ربه الأندلسي ٥: ٣٤٩ ـ وما بعدها دار الكتب العلميّة، ط. ١ ـ بيروت، ١٩٨٣.

تنفيذ البرنامج التثقيفي المعادي لآل البيت ، والداعي إلى تمييع قضيتهم ، والإنتصار إلى طرفهم المقابل لهم ، والمعادي لفلسفتهم ، وقد حاول في كثير من جهوده التثقيفية إبراز وجهات النظر السياسية لمدارس أهل الحل والعقد ، وهو مع هذا كله ، أورد هذا الخبر بطوله وعرضه ، مع خلو أغلب كتب الحديث منه ، وقد استبعدته خبراً علمياً موضوعياً ، يمكنه أن يشارك في النظرة المعتدلة المستقلة من قضية الخلافة ، والذي يقدّم وجهات نظر الطرفين ، بصياغتها الأصيلة الخالصة .

فحفل الخبر من كل هذا بثلاث وجهات نظر ، متفقة في عدائها لآل البيت ، وقد اشتركت في تقديم الصيغة الحقيقية لوجهة نظر المدرسة الإمامية في صراعها مع أطراف النزاع ، من أجل تثبيت حقوق آل البيت !

٣ ـ بغض النظر عن توجهات المأمون السياسية إلّا أن الخبر قدّم أُنموذجاً ممتازاً للقارئ الجيد ، الذي يستطيع أن يقرأ الحدث الإسلامي بصيغته الكاملة ، ويُعمِلْ فكره لمحاولة استنباط حقائق الواقع الإسلامي ، الذي قدّمه التراث النبويِ وشارك في صياغته التاريخ الإسلامي السليم ، فقد استفاد المأمون العباسي من وقائع التاريخ الإسلامي الخالص ، وإستخدم الحديث النبوي لتفسير ما جرىٰ من أحداث على أرض الواقع الإسلامي ، وقد تجرّد من أية نظرة تودي بحقيقة الحدث ، فكانت تجربته الموضوعية هذه أن قدّمت له رؤى جديدة فهم من خلالها ما جرى على الساحة الإسلامية ، واستطاع أن يخترق بنظرته الموضوعية المجردة جدران سقيفة بني ساعدة ، وقد جرى فيها ترتيب سير الأحداث لصالح النظريات السياسية المتحفزة للحكم الجديد .

٤ ـ قدّمت وقائع الخبر نقلاً مباشراً عن مجريات أساليب المناظرة لدى

المدرستين ، فقد استخدمت المدرسة الإمامية النص النبوي ، مجرداً عن النظرات الشخصية ، والتي تتدخل للعبث بالقصد النبوي الذي يقدم أُطروحته على أساس وحي السماء ، وقد قابلتها المدرسة الأُخرى باستحداث نظرة جديدة للحدث الإسلامي ، وذلك من خلال استخدام النص النبوي لتفسير وجهات نظرها السياسية لا العكس ، وهو إستخدام جهودها لخدمة النص النبوي وقراءته بما ينسجم وواقعهُ المطروح .

فقد قدّم المأمون قراءة جيدة للنصوص النبوية ، وعرضاً خالصاً لمجريات الحدث الإسلامي ، وقد استعان ببديهيات وضروريات عقلية ، واستخدم مسلّمات وجدانية ، كل ذلك من أجل الاستفادة من النصوص النبوية خالصة وهي تقدم أُطروحة السماء في ترتيب الخلافة الشرعية ، وقد قابل الطرف الثاني هذا الجهد الرائع بكل مسلماته العلمية وطرحه الموضوعي حيث حاول إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القفز على الأحداث وتقزيم القضية الإسلامية المتعلقة بفضائل علي بن أبي طالب وتفريغها من محتواها والتعامل معها حدثاً بسيطاً لا يشارك في رسم صيغة الخلافة الشرعية ، بل استبدل النصوص النبوية بكل معطياتها بالانقلاب السياسي العاجل الذي أطاح بالخطط الإلٰهية للخلافة الشرعية وأطلق عليه «إجماع الأمّة» ومنحه الشرعية بديلاً عن الأُطروحة الإلٰهية لترتيب منصب الخلافة .

٥ ـ كان إسحاق بن إبراهيم قد استخدم منطق المزايدات السياسية في محاولة منح الشرعية لمؤتمر السقيفة ، وحاول تجريد النصوص النبوية من محتواها ، وذلك بإستخدام أُسلوب التلقين لمرتكزاتٍ موروثة مقدسة ، حملها في ذاكرته ، ولن يسمح لنفسه بمناقشتها يوماً ما ، حتّى سقط في مناظرته العلمية وهو يدافع

عن مقدماتٍ إتخذها لنفسه خاطئة ، وقد استعان بها في مناظرته ، أمثال أن حديث الغدير كان سببه تطييباً لنفس علي بن أبي طالب بعد مشاجرةٍ بينه وبين زيد بن حارثة وقد غفل أن زيد بن حارثة قد قتل قبل واقعة الغدير ، وهي كبوة تاريخية ، سجّلت تراجعاً كبيراً في موقف إسحاق الدفاعي ، ووهن ما ذهب إليه ، وهي الصورة الحقيقية لكثير من مناظرات اخواننا من الفرق الكلامية الأُخرى ، وقد اعتمدوا على مقدمات خاطئة لن تعينهم على ما تمسّكوا به ، ثمّ يحملون الطرف المقابل على التسليم به والأخذ بموجبه .

٦ ـ قدّمت الشرعية الإلٰهية للخلافة حججها الرصينة لكل من التزم جانبها ، بغض النظر عن مذهبه ومعتقده ، وهي تعمل على تسديده ، بالحجة العلمية ، وبالبرهان الموضوعي ، وقد دعت المسلمين للالتزام بها ، مناصرةً للحق ودحضاً للباطل ، فلم تكن موقوفة على طرفٍ دون آخر ولم تستأثر بها جهة دون أُخرى ، بل هو الحق يودع عند من يشاء ، بشرط تأديته بأمانته العلمية ، وهذا ما عمل به المأمون هنا ، فمثّل جانباً من جوانب الدفاع عن الحق ، والتزام جانب الشرعية ، بغض النظر عن مذهبه ووجهة نظره ، لذا ظهر موقفه قوياً بديعاً ، وهو يتمسك بالبديهيات الحقة ، وبان ضعف مناظره ووهنه ، وهو يتوسل بأساليب ملتوية إبقاءً على نظرته التقليدية ، التي ورثها من قومه .

٧ ـ كانت المناظرة حامية الوطيس ، فَنَّدَ بها المأمون أربعين فقيهاً قد فتح لهم باب الحوار واستخدم معهم أساليب المناظر ، لا أساليب الحاكم ، للوصول إلى صيغة مشتركة ونظرة موحدة ، وقد ناظروه وهم آمنون ، وحاجوه وهم طيبوا الخاطر للجو الذي أحدثه ، حيث احتفظ كل واحد بشخصيته كمناظر فقيه أمام خصمه العلمي ، لامتّهم ضعيف يمثل أمام الخليفة ، كل ذلك من أجل احداث

نظرةٍ جديدة للحدث الإسلامي وصياغةٍ موضوعية لمجريات التاريخ الإسلامي ، إلّا أن الأربعين فقيهاً ـ وللأسف ـ تعاملوا مع خليفتهم تعاملاً لم يُحسدوْا عليه ، فكان تلقيهم لنتائج المناظرة الجادة بأسلوب بارد وتعاملٍ باهت ، وقد ختموا مؤتمرهم العلمي هذا باسلوبٍ منافق رسمي ، وهو الدعاء للخليفة بحفظه وطول عمره ، وكأن حجج المأمون اللاهبة القوية قد تعاملت مع صخرٍ أصمّ .

٨ ـ استطاعت حقائق الخلافة الشرعية أن تزحف إلى بلاط الخلافة العباسية لتكتسح أمامها ما غرسته أعوام الثقافة العجاف التي حاول العباسيون من خلالها تمييع حقوق آل البيت والقفز من خلالها على مواقع الخلافة ، ودعم شرعية الحكومة العباسية ، وإذا بحقائق الخلافة الشرعية تمتد لتضرب بأصولها الإلٰهية كل ما قدمته الخلافة العباسية من ترتيبات لاخفاء حقائق الأحداث !

٩ ـ روى هذا الخبر إسحاق بن إبراهيم نفسه وذكر تفاصيل ما جرى بينه وبين المأمون العباسي ، وقد ذكر جميع وقائعه وكيف كان يطرق برأسه عند تحيّره بالجواب ، وما استخدمه المأمون من حجج علمية وقضايا موضوعية ، فكانت روايته للخبر هذا وجميع من تناقله وكتبه وتحدث به إقراراً على الراوي والكاتب والمحّدث ، وقد تعارف في الفقه الإسلامي « أن الإقرار على نفس المقرّ حجة » ، فكان إسحاق قد حجّ نفسه ، بنفسه وتبعه على ذلك حماد بن زيد راوي الحديث ، وأقر بذلك ابن عبد ربه الأندلسي لنقله الحديث دون تعليق .

١٠ ـ يستخلص من هذه المناظرة ، أن قد أطاح المأمون العباسي بالشرعية العباسية ، وفتح الآفاق للمعارضة العلوية أن تتحرك ضمن الدائرة الشرعية التي أقرها المأمون ، ومهّد الطريق للآيدلوجية العلوية من أن تأخذ بمواقع الصدارة في صياغة الحدث الإسلامي العام ، مما أحدث شرخاً في الأيدلوجيات المطروحة

والبديلة عن الأيدلوجية العلوية ، وقد كانت مناظرته هذه وأمثالها إدانة لمن كان قبله وحجة على من جاء بعده من خلفاء العباسيين وغيرهم ، بل ستمثل أيضاً إدانة أكبر للمأمون نفسه حين لا يتمثّل هذه المبادىء في سياسته ومتبنياته .

١١ ـ شكّلت شخصية المأمون المزدوجة مدرسة خاصة ، لها معالمها وشخصيتها المستقلة ، وقد ميزتها من بين شخصيات خلفاء بني العباس ، مما حدى بالدراسات التاريخية التي تكفلت دراسة هذه الشخصية أن ترتبك في نظرتها العامة ، لذا ذهبت بعضها إلى إقحام المأمون العباسي ضمن مدرسة آل البيت ، وقد غفلت عن الفجوة التي كانت بينه وبين شخصيات آل البيت حتّى تم تنفيذ المسلسل التصفوي لرموز الشرعية الإلٰهية المتمثلة بالأئمة الأطهار على يده ، وتطرفت أُخرى حتّى أنكرت معرفته بفضل آل البيت وعلو مقامهم عنده ، فحصل من هذا وذاك دراسة مضطربة ونظرة مشوشة لمدرسة المأمون المعقدة ، ولعل ما نذهب إليه سيسهم في تخفيف أزمة دراسة الشخصية المأمونية ، فالمأمون ولدته جارية فارسية تسمى مراجل ، وكان البيت العباسي ينظر إلى المأمون بأنّه ابن أمة وليس مولده كمولد أخيه الأمين الذي كان بين عباسيين ، فأبوه الرشيد وأُمّه زبيدة بنت المنصور العباسي ، فكان يتمتع بالنظرة الشريفة المحترمة والمرتبة الرفيعة التي تميّزه عن أخيه المأمون ، وقد خلقت هذه النظرة تعاملاً لا إرادياً من قبل العباسيين إزاء المأمون وشاركت في تهيئة الجو الذي عزل المأمون عن التقاليد والأعراف العباسية وأبعدته عن حساباتها البعيدة ، مما خلق من المأمون شخصية متمردة على بني قومه تبحث عن كل جديد يسهم في إقصاء شخصية بيته وشرعية وجودهم ، وذلك لإثارة انتباه بني أبيه لشخصيته المهملة ، فقد فتح عينيه على العداء التقليدي الذي تمتع به العباسيون لآل البيت عليهم السلام ومحاولة إثبات شرعية الوجود العباسي في الخلافة ودفع العلويين عن مراتبهم

الطبيعية ، وافتخارهم على آل علي بالخلافة المغتصبة التي حملتهم على رقاب المسلمين ، لذا حاول المأمون إحداث تغيير جديد على أنقاض النظرة البالية ، فراح يدرس النظرية الإمامية بكل جوانبها ، فإستهوته شاباً قد تفتّحت آفاقه على غير ثقافة البيت العباسي . .

لا يمكن تحديد دوافع هذه الثقافة ، والمؤرخون لم يحددوا موقفهم من هذه القضية عدا ما ذكره بعضهم أنه كان يتشيع أو معروفاً بتشيعه ، وسكتوا عن أسباب ذلك قال السيوطي : وكان [أي المأمون] معروفاً بالتشيع وقال : وفي سنة احدى ومائتين خلع أخاه المؤتمن من العهد وجعل ولي العهد من بعده علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، حمله على ذلك افراطه في التشيع . . راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٢٨٥ .

وأحسب أن هذا الكلام الذي يكتنفه الغموض ، دفع بالمحققين بعد ذلك إلى التضارب في الأراء ولم يستقروا على مذهب واحد ، والسر في ذلك ان دوافع المأمون التثقيفية التي كسرت الطوق التقليدي لبني أبيه ، بقيت غامضة بشكل مقصود ، ولعل التاريخ أغفل ذلك لحقائق فكرية تدخلت فيها توجهات سياسية غير نزيهة تستهدف تطويق حالة اعتقادية يشعر بها رؤوس النظام إلّا أنهم يخفونها في كوامن نفوسهم .

ولعل شعوراً قبلياً دعى المأمون أن يطّلع على غير ثقافة قومه ، وهي دوافع وجدانية منحته دفعةً خيّرة للتقصي عن حقيقة مجريات كثير من الوقائع التاريخية التي اختزنها «أرشيف وثائقي» أودعه الخلفاء في صدورهم ، ولم يظهروه لأسباب أمنية غير خافية ، ومحاذير عقائدية كثيرة .

تحسس المأمون أن بني هاشم حينما كانوا «أمراء الناس السياسيين» في وقت

من الأوقات، قد أحسنوا لبني عمومتهم العباسيين، بعد أن استبعدتهم حكومة الشيخين، والتي ينافح آباءَهُ العباسيين من أجلها اليوم، ورأى أن علياً بقدر ما أحسن لبني العباس فإن آباءه قابلوا ابناءه بالاساءة والتنكيل.

إن «الثقافة المغلقة» التي انتهجتها الانظمة ومنها بني العباس، لم تحل دون البحث عن الحقيقة فيما اذا توافرت مستلزمات البَحث لدى الفرد مهما كان خطره، فالوجدان النفسي غير المنهجية السياسية أحياناً والشعور غير التكتيك، فلعل هواجس وجدانية تبعث على مخالفة ما انتهجه ذوو السلطان، والشعور بالرأي الآخر خلاف ما تقتضيه السياسة من ترتيب الأعراف، والمأمون مع كل ذلك هو صنيعة آبائه الحريصين على الملك والسلطان.

والمأمون لم يحجر عليه كالآخرين من العامة ليقرأ الفكر الآخر، فهو ابن الخليفة الذي أضحى يتتلمذ على رجال الفقه والكلام، وعلوم حوادث الزمان ـ ولعل تأثير خاصته عليه كجعفر البرمكي والفضل بن سهل وكلاهما كان لهما هوى في التشيع أن لم نقل يتشيعان[١] ـ، فرأى فيما يراه المتطلع إلى معرفة ما وراء ثقافته أن هناك شيئاً آخر يختفي خلف هذا التقليد «المقدس»!

هذه المقدمة لعلها تهدينا إلى دوافع المأمون، فضلاً عن معاناة العزلة التي فرضها بيته العباسي ـ كما قدمنا ـ وتعامله على أنه ابنْ أمه، كل ذلك خلق فيه روحاً تطلعية إلى غير ثقافة البيت الحاكم، ولعل الخبر الذي أورده السيوطي سيعزز ما ذهبنا إليه:

---

(١) محاضرات تاريخ الأُمم الإسلاميّة / الدولة العباسيّة ـ محمّد الخضري بك: ١٨١. ولعلّ ما يؤيّد هذا الرأي هو البطشة المفاجئة التي فَتَكَ بها الرشيد بالبرامكة دون سابقة انذار، ولا زالت تختفي أسبابها سوى الاحتمالات التي تصدّت لتفسيرها.

قال: اسند الصولي أن بعض آل بيته قالت: انك على بر أولاد علي بن أبي طالب والأمر فيك، أقدر منك على برهم والأمر فيهم، فقال: انما فعلت ما فعلت لان أبا بكر لما ولي لم يولِ أحداً من بني هاشم شيئاً، ثم عمر ثم عثمان كذلك، ثم ولي علي فولى عبدالله بن عباس البصرة، وعبيدالله اليمن ومعبداً مكة، وقثم البحرين، وما ترك أحداً منهم حتى ولاه شيئاً، فكانت هذه «منّة» في أعناقنا حتى كافأته في ولده بما فعلت[1].

ورأى من الحق في أُطروحتها ما دعاه إلى إنصافها، عالماً طموحاً يريد أن يقرأ الحقيقة بعد كسر طوق العزلة الذي فرضه البيت العباسي على الأُطروحة الإمامية من أن تُدرس أو تلقى نظرة بسيطة على بعض جوانبها، فراح يُحلّق في جو النظرية الإمامية وهي تعطيه من الجديد ما يلبي رغباته العلمية وطموحاته، وتستجيب إلى وجدانه وفطرته كأنسانٍ يتمرد على واقعه المزّيف.. لكن ليس هذا وحده ما انطوى عليه سرّ المأمون، الذي لم يفته أن انسياق بلاد فارس وراء الدعوة العباسية إنما كان انسياقاً وراء شعارها الذي كانت ترفعه آنذاك وهو «طلب الرضا من آل محمد» وهو أقدر اليوم على تجديد هذا الشعار لأجل الإطاحة بأخيه الأمين المنافس له والمقدم عليه في الخلافة، فنجح في الإطاحة بأخيه الأمين واستولى على الخلافة وهو لا يزال يُعلن أحقية آلَ البيت، فأرسل على الأمام الرضاعليه السلام وعقد ولاية العهد له على رغم امتناع الإمام من قبولها.

ولكنّه بعد أن استقرّ به مقام الخلافة وقع فريسة لمطامعه السياسية وطموحه في الحكم وكانت حاشيته التي تحيطهُ متمثلة في فريق عمل سياسي ماكر يطمح للاستيلاء على كل شيء، فاستعمل الأساليب المبتذلة من أجل تثبيت قدم

---

(١) تاريخ الخلفاء ـ السيوطي: ٢٨٦ دار الفكر ـ بيروت.

المأمون في الحكم وراح بعد ذلك يُقدّم للمأمون عروضه التصفوية لإقصاء الإمام الرّضا عليه السلام من منصبه الرسمي وقتله خوف توجه الأنظار إلى الشرعية العلوية، مما يمهّد لها أن تأخذ مكانها في الحدث الإسلامي، حتّى تورط في تنفيذ مؤمراته الخبيثة بقتل الإمام والاعتذار بأن موته كان طبيعياً!.

لقد عاجلت المأمون مطامعه السياسية دون أن ينفّذ ما أخذه على نفسه من أحقية آل البيت في الخلافة، واستهوته مناصب الحكم وظهر أخيراً على حقيقته من خبث السريرة وما طُبع عليه من الطموح السياسي الذي ورثه من آبائه، وأطاح بالنظرة القائلة أن المأمون في عداد القائلين بمذهب آل البيت وقد أسهم الإمام الرضا عليه السلام مبكراً في كشف هذه الصورة ونبّه إليها من خلال رفضه ما عرضه المأمون عليه من ولاية العهد لعلمه بما حمله من أهداف في مكنون نفسه، وبعدم مصداقيته كشيعي يعترف بإمامة آل البيت، وإلّا ليس من دأب الشيعي أو خُلقه أن يتجرأ على إمامه بتهديده إن لم يقبل بما عرضه عليه، وليس من دأب الإمام أن تُعرض عليه الخلافة وهو يرفضها بعد كونه أهلاً لخلافة الله في أرضه، فما الذي يمنع الإمام عليه السلام من أخذ حقه من الخلافة المغتصبة لو عرف بصدق نوايا المأمون وواقعيته؟ لذا اسهمت جملة من الأحداث في خلق شخصية المأمون السياسية المعقدة، فجمع بين حبه للشرعية الإلٰهية المتمثلة بآل البيت كانسان مجردٍ عن كل دافع، وبين حبه للحكم وطموحه، كسياسي محترف يُلبّي رغباته ومطامعه.



المحسن بن صلاح الدين الأيّوبي

ذكره في طبقات أعلام الشيعة أنّه من الشيعة، هو وأخوه عليّ. وحكى عن الذهبي أنّه قال: المحسن بن صلاح الدين كان شيعيّاً[1].

وقد ذكرنا في عليّ بن الصلاح الدين الأيّوبي ما ينفع في المقام.



(١) طبقات أعلام الشيعة ١ : ١٢٢.

محمّد بن أبي بكر بن قحافة رضوان الله تعالى عليه

ينتسبُ إلى أبي بكر ولادةً، وينتمي إلى أمير المؤمنين عليه السلام معرفةً.

قال ابن حجر: ولد عام حجّة الوداع.. قدم مصر أميراً عليها من قِبل عليّ بن أبي طالب وجمع له صلاتها وخِراجها، فدخل في رمضان سنة (٣٧)، وقيل في صفر سنة (٣٨). قتل يوم المسنّاة لمّا انهزم المصريّون.

قال ابن عبدالبرّ في الاستيعاب: كان عليّ يُثني عليه ويفضّله؛ لأنّه كانت له عبادة واجتهاد، وكان على رجّالة عليّ يوم صفّين[(١)].

كان على درجة عالية من المعرفة بإمام زمانه، ومرتبة عظيمة من الولاء من أجل مبدأه، متنكّراً لعلقة النسب من أجل عقديته وإيمانه.

ففي صحيحة زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام: «إنّ محمّد بن أبي بكر بايع عليّاً عليه السلام على البرائة من أبيه»[(٢)].

والبراءة من أبيه تعني تحرّره من تقليديّة التبعيّة التي يُبتلى بها غيره، فمحمّد بن أبي بكر لم يراعِ ما عليه النّاس من عصبية النسب بقدر ما راعى رضوان الله عليه انتمائه المعرفي وتكليفه الشرعي تجاه دينه وعقيدته التي انتمى إليها. لذا عبّر عنه

---

(١) تهذيب التهذيب ـ ابن حجر ٩: ٨٠.

(٢) معجم رجال الحديث ١٤: ٢٣٠.

الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام بقوله :

«كان عمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر لا يرضيان أن يعصى الله عزّ وجلّ»[١].

ولعلّ اقتران محمّد بن أبي بكر مع عمّار بن ياسر لتشابه موقفيهما في صلابة الإيمان وقوّة الحقّ اللتان امتازا بهما رضوان الله عليهما.

نقل ابن أبي الحديد نعي عليّ عليه السلام لمحمّد بن أبي بكر ، ممّا يدلّ على منزلة محمّد وعظيم قدره عنده عليه السلام ، قال عليه السلام : «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ افْتُتِحَتْ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ قَدِ اسْتُشْهِدَ، فَعِنْدَ اللهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَداً نَاصِحاً، وَعَامِلاً كَادِحاً، وَسَيْفاً قَاطِعاً، وَرُكْناً دَافِعاً. وَقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ النَّاسَ عَلىٰ لَحَاقِهِ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ، وَدَعَوْتُهُمْ سِرّاً وَجَهْراً، وَعَوْداً وَبَدْءاً، فَمِنْهُمُ الآتِي كَارِهاً، وَمِنْهُمُ الْمُعْتَلُّ كَاذِباً، وَمِنْهُمُ الْقَاعِدُ خَاذِلاً. أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجاً عَاجِلاً؛ فَوَاللهِ لَوْلَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ، وَتَوْطِينِي نَفْسِي عَلىٰ الْمَنِيَّةِ، لَأَحْبَبْتُ أَلَّا أَلْقَىٰ مَعَ هٰؤُلَاءِ يَوْماً وَاحِداً، وَلَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَداً**»[٢].

ومن المفيد ذكر ما بعثه محمّد بن أبي بكر برسالة إلى معاوية بن أبي سفيان ، وما ورد عليه معاوية ؛ ليتسنّى من خلال ذلك معرفة بعض الملابسات التي يمكن من خلافها الاهتداء إلى سياسات السلف وتوجّهاتهم ، وبذلك سوف يتمّ بسبب ذلك تأسيس رؤيةٍ جديدة في هذا المضمار. روى ابن أبي الحديد عن نصر بن مزاحم في كتابه صفّين ما أرسله محمّد بن أبي بكر إلى معاوية ، وهذا نصّه :

سلامٌ على أهل طاعة الله ممّن هو سلم لأهل ولاية الله ، أمّا بعد :

---

(١) معجم رجال الحديث ١٤ : ٢٣٠.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٦ : ١٤٥ ، الخطبة ٣٥.

فإنّ الله بجلاله وعظمته، وسلطانه وقدرته، خلقَ خَلْقاً بلا عبث منه، ولا ضعف في قوّته، ولا حاجة به إلى خَلْقهم؛ ولكنّه خَلَقهم عبيداً، وجعل منهم شقياً وسعيداً، وغوياً ورشيداً.

ثمّ اختارهم على عِلْمِه، فاصطفى وانتخب منهم محمّداً صلّى الله عليه وآله، فاختصّه برسالته، واختاره لوحيه، وائتمنه على أمره، وبعثه رسولاً مصدّقاً لما بين يديه من الكتب، ودليلاً على الشرائع، فدعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة.

فكان أوّلَ مَنْ أجاب وأناب، وآمن وصدّق ووافق، فأسلم وسلّم أخوه وابنُ عَمّه عليّ بن أبي طالب، فصدّقه بالغيب المكتوم، وآثره على كلّ حميم، ووقاه كلّ هَوْل، وواساه بنفسه في كلّ خوف؛ فحارب حَرْبه، وسالم سِلْمه، فلم يبرَحْ مبتذِلاً لنفسه في ساعات الأزل، ومقامات الرَّوْع، حتى بَرَّز سابقاً لا نظير له في جهاده، ولا مقاربَ له في فعله. وقد رأيتَك تساميه، وأنت أنت، وهو هو السابق المبرّز في كلِّ خير؛ أوّلُ النّاس إسلاماً، وأصدق الناس نيّة، وأطيَبُ الناس ذُرّيّة، وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن عمّ، وأنت اللعين ابن اللعين، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل، وتجتهدان في إطفاء نور الله، وتجمَعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتحالفان في ذلك القبائل، على هذا مات أبوك، وعلى ذلك خَلَفْتَه، والشاهدُ عليك بذلك مَنْ يأوي ويلجأ إليك، من بقيّة الأحزاب، ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله صلّى الله عليه وآله. والشاهد لعليّ مع فضله المبين وسابقته القديمة أنصارهُ الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن ففضّلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار، فهم معه كتائب وعصائب، يجالدون حولَه بأسيافهم، ويُهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في اتّباعه،

والشِّقاق والعصيان في خلافه، فكيف ـ يا لك الويل ـ تعدِلُ نفسك بعليّ، وهو وارث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ووصيّه وأبو ولده، وأوّلُ النّاس له اتّباعاً، وأقربهم به عهداً، يخبره بسرِّه، ويشركه في أمره، وأنت عدوّه وابن عدوّه. فتمتّع ما استطعتَ في دنياك بباطِلك، وليمددك ابن العاص في غوايتك، فكأنّ أجلكَ قد انقَضى، وكيدكَ قد وَهَى، وسوف تستبين لمن تكون العاقبة العليا، واعلم أنّك إنّما تكايد ربّك الذي قد أمِنْتَ كيده، وأيسْتَ من روحه، وهُوَ لَكَ بالمرصاد، وأنت منه في غرور. وبالله وبأهل بيت رسوله عنك الغناء، والسلام على من اتّبع الهدى.

وبهذه المعارف التي تضمّنت رسالة محمّد بن أبي بكر نقرأ مدى معرفته وولائه لأهل البيت عليهم السلام، وسنقرأ ما أجابه معاوية من حقائق، مضافاً إلى مغالطات تبريريّة اعتذاريّة واهية.

من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمّد بن أبي بكر. سلام على أهل طاعة الله، أمّا بعد: فقد أتاني كتابُك تذكر فيه ما الله أهلُه في قدرته وسلطانه، وما أصفى به نَبِيّه مع كلام كثير ألّفته ووضعته لرأيك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف، ذكرتَ فيه حقّ ابن أبي طالب، وقديمَ سابقته وقرابته من نبيّ الله، ونصرتَه له، ومواساته إيّاه، في كلّ هَوْل وخوف، واحتجاجَك عليَّ، وفخرك بفضل غيرك لا بفضلك، فاحمد إلٰهاً صرف ذلك الفضل عنك، وجعله لغيرك، فقد كُنّا وأبوك معنا في حياة نبيّنا نعرف حقّ ابن أبي طالب لازِماً لنا، وفضله مبرزاً علينا[1]. فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده، وأتمّ له ما وَعَده، وأظهر دعوتَه،

---

(١) اعترافٌ صريح، وإقرارٌ خطير من معاوية بن أبي سفيان في معرفة حقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وتقدّمه على الجميع. فكانوا لا يجهلون مقامه، ولا يغضّون عن منزلته.

وأفلج حُجَّتَه، قبضه الله إليه فكان أبوك وفاروقُه أوّل من ابتزّه، وخالفه على ذلك اتّفقا واتّسقا[١]، ثمّ دعَوَاه إلى أنفسهما فأبطأ عنهما[٢]، وتلكّأ عليهما، فهمّا به الهموم، وأرادا به العظيم[٣]، فبايعهما وسلّم لهما، لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرّهما حتى قُبِضا وانقضى أمرهما، ثمّ أقاما بعدهما ثالثهما عثمان بن عفّان، يهتدي بهديهما، ويسير بسيرتهما، فعبتَه أنت وصاحبُك، حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي، وبطنتُما وظهرتما، وكشفتما له عداوتكما وغِلَّكُما، حتى بلغتما منه مُناكما. فخذ حذرَك يابن أبي بكر، فسترى وبالَ أمرك، وقِسْ شبرَك بفترك، تقصُرْ عن أن تساوي أو توازي من يَزِنُ الجِبال حلمه، ولا تَلينَ على قَسْرٍ قَناتُه، ولا يُدرِك ذو مَدًى أناته، أبوك مهّد له مِهادَه، وبنَى مُلكه وشادّه، فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك أوّله، وإن يك جَوْراً فأبوك أُسّه، ونحن شركاؤه، فبهَدْيِهِ أخذنا، وبفعله اقتدينا، رأينا أباك فعل ما فعل، فاحتذينا مثاله، واقتدينا بفعالِه، فعِبْ أباك بما بدا لك، أو دَعْ، والسلام على من أنابَ ورجع من غوايته وتاب[٤].

تُعدّ هاتين الرسالتين وثيقتان تكشفان لنا مفاهيم عدّة تساهم إلى حدٍّ ما في

(١) إقرار معاوية على غصب الشيخين لحقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام في خلافته لرسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) اعترافٌ من معاوية أنّ علياً عليه السلام لم يكن مبايعاً لأبي بكر، وإذا بايع فعن إكراه.

(٣) أي أراد قتله وتصفيته، وهو ما يذهب إليه المؤرّخون من الفريقين أنّ عمر بن الخطّاب قد هجم على بيت عليّ بن أبي طالب عليه السلام لأخذ البيعة عنوة، فأسقطت فاطمة عليها السلام حملها عند الباب في واقعة مروّعة يذكرها أهل التاريخ من الفريقين، وراجع كتابنا موسوعة أدب المحنة ليثبت لك اعترافات الفريقين في الهجوم على دار عليّ عليه السلام وترويع فاطمة عليها السلام، وإسقاطها جنينها.

(٤) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٣ : ١٨٨.

تبنّي رؤية حقيقيّة لواقع الحدث الإسلامي، وتتيح للباحث أن يستلهم مجريات الأحداث دون أن تتدخّل الرؤى الخاصّة والاجتهادات الفردية في تفسير الحدث وقراءته، وينبغي أن تستوقفنا الرسالتان عند اُمور:

أوّلاً: أنّ محمّد بن أبي بكر من خلال رؤيته ومنهجه المباين لأبيه يعترفُ بما ورد في رسالة معاوية من إشكالاته على مواقف الشيخين، بل تُعدّ رسالة معاوية تأييداً لمنهج محمّد بن أبي بكر، وما هو عليه من التولّي لعليّ بن أبي طالب، والاعتراف بأحقّيّته، بل التأكيد على ما التزمه محمّد من رؤيته وقناعاته، فرسالة معاوية تقوّي حجّة محمّد بن أبي بكر، وتدين معاوية بن أبي سفيان.

ثانياً: اعتراف معاوية بأفضليّة عليّ بن أبي طالب بقوله: نرى حقّ ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرّزاً علينا... وهذه دلالة واضحة على بيان الحقّ ومعرفته لدى معاوية، وكذلك لدى الشيخين، وأنّهم لم ينطلقوا في تمرّدهم على عليّ بن أبي طالب عليه السلام من جهلٍ للواقع بقدر ما هي حالة تسابقٍ سياسيي، وتمرّدٍ على ثوابت ومفاهيم الخلافة الإلهيّة.

ثالثاً: امتداد خطّ الشيخين إبّان عهد عثمان، وما عثمان إلّا منفّذ لسياستيهما؛ وذلك عند قوله: ثمّ أقاما عثمان بن عفّان يهتدي بهديهما، ويسير بسيرتهما...

ممّا يدلّ على أنّ عثمان قد انتهج نهج الشيخين، وقد عبّرت الأُمّة عن رفضها لهذا النهج فعكسته في الثورة على عثمان ومن ثَمّ مقتله، وهذا دليل على رفض منهج الشيخين، والمسلمون لا يستطيعون التعبير عن رفضهم تحت قوّة السيف التي كانت العلامة الفارقة لحكومة الشيخين بعد عهد النبوّة الذي أفاء العدل والسلام على المسلمين، والتعبير عن الرأي واحترامه من قبل النبيّ صلى الله عليه وآله في حين كان عهد الشيخين حالة متوجّسة من التعبير عن أي رأي آخر يُعدّ معارضاً لهما

ـوكانت أحداث أخذ البيعة شاهدةً على الظرف السياسي المشحون وما ذكره ابن قتيبة في الإمامة والسياسة عند هجوم القوم على بيت فاطمة عليها السلام دليل ذلك التوتّر السياسي الحذرـ وإذا كان الأمر كذلك فمتى يستطيع المسلمون أن يعبّروا عن رفضهم لسياسات الشيخين. نعم، حينما وجد المسلمون إبّان عهد عثمان متنفّساً للتعبير عن رأيهم استطاعوا ذلك بترجمتهم في الاعتراض ضدّه، والثورة عليه، وتصفيته عند ذلك.

وما رواه موسى بن مصعب، عن شعيب، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «ما من أهل بيت إلّا ومنهم نجيب من أنفسهم، وأنجب النجباء من أهل بيت سوء محمّد بن أبي بكر»(١).

وقد نسب العلّامة المقامقاني هذه الأبيات له:

يا أبانا قد وجدنا ما صلح	خاب من أنت أبوه وافتضح
إنّما أنقذني منك الذي	أنقذ الدرّ من الماء الملح
يا بني الزهراء أنتم عدّتي	وبكم في الحشر ميزاني رجح
وإذا صحّ ولائي فيكم	لا أبالي أي كلب قد نبح(٢)



(١) و(٢) تنقيح المقال ٢: ٥٧.

محمّد بن أبي حذيفة الأموي

(ابن خال معاوية بن أبي سفيان)

هو محمّد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس.

قُتل سنة (٣٦) ، وهو ابن خال معاوية بن أبي سفيان.

قال الكشّيّ : حدّثني نصر بن صباح قال : حدّثني أبو يعقوب إسحاق بن محمّد البصري ، قال : حدّثني أمير بن عليّ ، عن أبي الحسن الرضا عليه‌السلام ، قال : «كان أمير المؤمنين عليه‌السلام يقول : إنّ المحامدة تأبى أن يعصى الله عزّ وجلّ» ، قلت : ومَن المحامدة ؟ قال : «محمّد بن جعفر ، ومحمّد بن أبي بكر ، ومحمّد بن أبي حذيفة ، ومحمّد ابن أمير المؤمنين عليه‌السلام».

وأخبرني بعض رواة العامّة عن محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني رجل من أهل الشام ، قال : كان محمّد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة مع عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام ، ومن أنصاره وأشياعه ، وكان ابن خال معاوية ، وكان رجلاً من خيار المسلمين ، فلمّا توفّي عليّ عليه‌السلام أخذه معاوية وأراد قتله ، فحبسه في السجن دهراً ، ثمّ قال معاوية ذات يوم : ألا نرسل إلى هذا السفيه محمّد بن أبي حذيفة فنبكته ونخبره بضلالته ، ونأمره أن يقوم فيسبّ عليّاً ؟ قالوا : نعم ، قال : فبعث إليه معاوية وأخرجه من السجن ، فقال له معاوية : يا محمّد بن أبي حذيفة ، ألم يأن

لك أن تبصر ما كنت عليه من الضلالة بنصرتك عليّ بن أبي طالب الكذاب ، ألم تعلم أنّ عثمان قتل مظلوماً ، وأنّ عائشة وطلحة والزبير خرجوا يطلبون بدمه ، وأنّ عليّاً هو الذي دسّ في قتله ونحن اليوم نطلب بدمه ؟

قال محمّد بن أبي حذيفة : إنّك لتعلم أنّي أمسّ القوم بك رحماً ، وأعرفهم بك ، قال : أجل ، قال : فوالله الذي لا إله إله غيره ، ما أعلم أحداً شرِك في دم عثمان ، وألّب النّاس عليه غيرك لمّا استعملك ، ومَن كان مثلك ، فسأله المهاجرون والأنصار أن يعزلك فأبى ، ففعلوا به ما بلغك ، ووالله ! ما أحد اشترك في قتله بدءاً وأخيراً إلّا طلحة والزبير وعائشة ، فهم الذين شهدوا عليه بالعظيمة ، وألّبوا عليه النّاس ، وشركهم في ذلك عبدالرحمن بن عوف وابن مسعود وعمّار والأنصار جميعاً ، قال : قد كان ذلك ؟ قال : إي والله ، وإنّي لأشهد أنّك منذ عرفتك في الجاهليّة والإسلام لعلى خُلق واحد ، ما زاد الإسلام ما فيك لا قليلاً ولا كثيراً ، وأنّ علامة ذلك فيك لبيّنة ، تلومني على حبّي عليّاً ، خرج مع عليّ كلّ صوّام قوّام ، مهاجري ، أنصاري ، وخرج معك أبناء المنافقين والطلقاء والعتقاء ، خدعتهم عن دينهم وخدعوك عن دنياك . والله يا معاوية ، ما خفي عليك ما صنعت ، وما خفي عليهم ما صنعوا ؛ إذ أحلّوا أنفسهم بسخط الله في طاعتك ، والله ! لا أزال أُحبّ عليّاً لله ولرسوله ، وأُبغضك في الله وفي رسوله أبداً ما بقيت ، قال معاوية : وإنّي أراك على ضلالك بعد ، ردّوه ، فمات في السجن[١] .

على أنّ محمّد بن أبي حذيفة هذا قد ربّاه عثمان بن عفّان بعد قتل والده ، فكفله إلى أن كبر ، ثمّ صار إلى مصر ، فصار من أشدّ النّاس تأليباً على عثمان[٢] .

---

(١) معجم رجال الحديث ١٤ : ٢٣٥ .

(٢) تنقيح المقال ٢ : ٥٩ .

ومعنى هذا أنّ محمّداً لم تتملّكه عصبيّة الانتساب بقدر قناعاته في عدم سلامة نهج عثمان وخطّه، وهو لم يلتزم بمقتضيات القبليّة بقدر ما التزم بإيمانه للشرعيّة المتمثّلة في عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو لم تأخذه في ذلك لومة لائم، معتزلاً سلطان أهله، وثروة ذويه، مؤثراً الانتماء لعليّ والانتساب إليه.



معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

هو معاوية بن يزيد بن معاوية.

لا يخفى انحراف يزيد وقتله سيّد شباب أهل الجنّة الحسين عليه السلام، وانتزاءه على مقاليد الخلافة دون أن يرتضيه أحدٌ من المسلمين، عدا ما أوهمه معاوية من مبايعة المسلمين له، وقد نقل أرباب التاريخ في ذلك مطوّلات عن محاولات معاوية في إجبار وتهديد وإغراء بعضهم في مبايعته على ما زعم.

روى الدميري كمال الدين محمّد بن موسى في حياة الحيوان الكبرى: أنّ معاوية بن يزيد لمّا خلع نفسه صعد المنبر فجلس طويلاً، ثمّ حمد الله وأثنى عليه بأبلغ ما يكون من الحمد والثناء، ثمّ ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله بأحسن ما يُذكر به، ثمّ قال: أيّها النّاس، ما أنا بالراغب في الائتمار عليكم لعظيم ما أكرهه منكم، وإنّي لأعلم أنّكم تكرهوننا أيضاً؛ لأنّا بُلينا بكم وبُليتم بنا، إلّا أنّ جدّي معاوية قد نازع في هذا الأمر مَن كان أوْلى به منه ومن غيره؛ لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله، وعظم فضله وسابقته، أعظم المهاجرين قدراً، وأشجعهم قلباً، وأكثرهم علماً، وأوّلهم إيماناً، وأشرفهم منزلةً، وأقدمهم صحبةً، ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وصهره، وأخوه، زوّجه صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة، وجعله لها بعلاً باختياره لها، وجعلها له زوجة باختيارها له، أبو سبطيه سيّدي شباب أهل الجنّة، وأفضل هذه الأمّة، تربية الرسول، وابني فاطمة البتول، من الشجرة الطيّبة الطاهرة الزكيّة، فركب جدّي منه

ما تعلمون ، وركبتم معه ما لا تجهلون ، حتّى انتظمت لجدّي الأمور ، فلمّا جاءه القدر المحتوم ، واخترمته أيدي المنون بقي مرتهناً بعمله ، فريداً في قبره ، ووجد ما قدّمت يداه ، ورأى ما ارتكبه واعتداه ، ثمّ انتقلت الخلافة إلى يزيد أبي ، فتقلّد أمركم لهوى كان أبوه فيه ، ولقد كان أبي يزيد بسوء فعله ، وإسرافه على نفسه غير خليق بالخلافة على أُمّة محمّد ﷺ ، فركب هواه ، واستحسن خطاه ، وأقدم على ما أقدم من جراءته على الله ، وبغيه على من استحلّ حرمته من أولاد رسول الله ﷺ ، فقلّتْ مدّته ، وانقطع أثره ، وضاجع عمله ، وصار حليف حفرته ، رهين خطيئته ، وبقيت أوزاره وتبعاته ، وحصل على ما قدّم ، وندم حيث لا ينفعه الندم ، وشغلنا الحزن له عن الحزن عليه ، فليت شعري ماذا قال ، وماذا قيل له ؟ هل عوقب بإساءته ، وجُوزي بعمله ؟ وذلك ظنّي ، ثمّ اختنقته العبرة ، فبكى طويلاً ، وعلا نحيبه ، ثمّ قال : وصرت أنا ثالث القوم ، والساخط علَيّ أكثر من الراضي ، وما كنت لأتحمّل آثامكم ، ولا يراني الله جلّت قدرته متقلّداً أوزاركم ، وألقاه بتبعاتكم ، فشأنكم أمركم فخذوه ، ومن رضيتم به عليكم فولّوه ، فلقد خلعت بيعتي من أعناقكم ، والسلام .

قال الدميري : ثمّ نزل فدخل عليه أقاربه وأُمّه فوجوده يبكي ، فقالت له أُمّه : ليتك كنت حيضة ولم أسمع بخبرك ، فقال : وددت والله ذلك ، ثمّ قال : ويلي إن لم يرحمني ربّي .

ثمّ إنّ بني أُميّة قالوا لمؤدّبه عمر المقصوص : أنت علّمته هذا ولقّنته إيّاه ، وصددته عن الخلافة ، وزيّنت له حبّ علي وأولاده ، وحملته على ما وسمنا به من الظلم ، وحسّنت له البدع ، حتّى نطق بما نطق ، وقال ما قال ، فقال : والله ما فعلته ، ولكنّه مجبول ومطبوع على حبّ عليّ ، فلم يقبلوا منه ذلك ، وأخذوه

ودفنوه حيّاً حتّى مات[١].

وروى المسعودي أنّ معاوية بن يزيد ﷺ حين عاتبته اُمّه على تخلّيه عن الخلافة فقال: أتفوز بنو اُميّة بحلاوتها وأبوء بوزرها ومنعها أهلها؟ كلا، إنّي لبريء منها[٢].

ونقل المقدسي في البدء والتاريخ بعضاً من خطبة معاوية بن يزيد هكذا:

إنّا بُلينا بكم، وابتليتم بنا، وأنّ جدّي معاوية نازع الأمر مَن كان أوْلى به وأحقّ، فركب منه ما تعلمون حتّى صار مرتهناً بعمله، ثمّ تقلّده أبي، ولقد كان غير خليقٍ به، فركب ردعهُ، واستحسن خطاءَه، ولا اُحبُّ أن ألقى الله بتبعاتكم، فشأنكم وأمرَكم، ولّوه من شئتم، فوالله! لئن كانت الخلافة مغنماً لقد أصبنا منها حظّاً، وإن كانت شرّاً فحسبُ آل أبي سفيان ما أصابوا منها[٣].

واليعقوبي نقل الخطبة كما وردت عن الدميري، إلّا أنّه زاد فيها كلامه هكذا:

إنّ أعظم الاُمور علينا علمنا بسوء مصرعه، وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول، وأباح الحرمة، وحرّق الكعبة، وما أنا المتقلّد اُموركم، ولا المتحمّل تبعاتكم، فشأنكم أمركم، فوالله! لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظّاً، وإن تكن شرّاً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها[٤].

ونقل الخطبة ابن العبري في تاريخ مختصر الدول[٥].

تُعدّ خطبة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي أبي سفيان وثيقة مهمّة في كشف

---

(١) حياة الحيوان الكبرى ـ الدميري ١: ٨٨.

(٢) مروج الذهب ـ المسعودي ٣: ٨٥.

(٣) البدء والتاريخ ٥: ١٦.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٦٩.

(٥) تاريخ مختصر الدول ـ ابن العبري: ١١١.

حقيقة الحكم الأموي وعدم مشروعيّته، وكونه نظاماً متسلّطاً بقوّة السيف، وليس حكماً إلٰهيّاً يتمتّع بمقوّمات الخلافة الشرعيّة، أي أنّ موروثاً سلطوياً يمتلكه النظام الأموي من السقيفة التي مارست عملياتٍ قسريّة في فرض فكرة الخلافة، وكون هذه الخلافة لا تعني إلّا الغلبة والغيلة، بل سحق وتجاوز مسلّمات بديهيّة تعارف عليها المسلمون، واستقرّت على ذلك كلمتهم.

ظاهرة معاوية بن يزيد:

يحقّ لنا أن نطلق على هذا المقطع التأريخي من الخلافة الإسلاميّة بـ(الظاهرة)، وحيث إنّها حاله متشخّصة في التاريخ السياسي الإسلامي، وكونها تتفرّد في ممارسة التعبير عن واقع سياسي مرير، ومن ثَمّ فهي تعبيرٌ عن رأيٍ ينبع من صميم معاناة اُمّة، إضافة إلى أنّ تحرّر معاوية بن يزيد من تقليديّة العصبيّة القبليّة تُعدُّ ظاهرته إنجازاً مهمّاً على مستوى بيان الحقائق التأريخيّة، وإمكانيّة محاكمة التشكيلات السياسية الاُخرى المدّعية للخلافة في عرض الخلافة الشرعيّة.

على أنّ دعاوى العدل والإنصاف التي تقمّصها بعض خلفاء بني اُميّة وخلفاء بني العبّاس تُحاكم على أساس المقطع التاريخي هذا؛ وهو ما يسمّى (بظاهرة) معاوية بن يزيد بن أبي سفيان.

فعدالة عمر بن عبدالعزيز التي ينظر إليها البعض نظر إكبار تتلاشى عند ظاهرة معاوية بن يزيد، فعمر بن عبدالعزيز مجرّد تعدّيه على منصب الخلافة مع وجود الإمام زين العابدين عليه‌السلام يُعدّ ذلك انتهاكاً لمبادئ العدل التي كان عمر بن العزيز يدّعيها.

وفقدان خلافته للشرعيّة يُمثّل أقصى حالات السطو والابتزاز، فمتى ـ والحال

هذه ـ يستطيع أن يطبّق مبادئ العدل وهو بعد لم يُنصف أصحاب الحقّ في الخلافة ؟ وعندها لا تنفع أية محاولة يدّعيها البعض لتحسين صورة النظام الأُموي من خلال شخصيّة عمر بن عبدالعزيز (وعدالته) المدّعاة.

فمعاوية بن يزيد يعلن عن عدم مشروعيّة خلافة سلفه كونها في عرض الشرعيّة الإلٰهيّة المتمثّلة بالإمام عليّ بن الحسين عليه‌السلام ، بل محاولة إعلان غصبيّة الخلافة والتشهير بجدّه وأبيه ، ومن ثَمّ الإشارة إلى أنّ الإمام عليّ بن الحسين عليه‌السلام يمثّل الخلافة الحقّة ؛ نقطة تحوّل في العقليّة الإسلاميّة ، بل نقطة تحوّل حتّى على مستوى الفكر الإنساني ، بعد أن تُلغى «الأنا» ، وتتحرّر الذات من عقدة الانتساب الأُسري إلى آفاق الانتساب المعرفي ، فدوافع معاوية بن يزيد الشاب الذي لم يتجاوز الثامنة عشر ـ أو الثالثة والعشرين على رواية اُخرى ـ تدفعه دواعي طموحاته إلى استغلال الجاه والمنصب الذي يأتيه وراثة دون عناء ، يفرض عليه التنكّر لأبسط الحقوق الأخلاقيّة التي يتمتّع بها الفرد العادي قبل أن يتلذّذ بحلاوة المنصب ، وإذا مارس مترفات الجاه والمنصب تغيّرت موازين أخلاقيّته الإنسانيّة ، واستشرف إلى طموحات رغباته على حساب أي قيم ومبادئ. إلّا أنّ معاوية بن يزيد ينتزع نفسه من هذه التقليديّة (الإنسانيّة) انتزاعاً ، ويزهد في معطيات منصبه هذا ، بل هو يذهب إلى أبعد من ذلك ، فهو يغامر حتّى في حياته بعد أن يعرف هوى آل أبي سفيان في رغبتهم الجامحة للاستئثار بالمنصب والجاه ، وهو الآن يحاول نقل هذه السلطة إلى بني هاشم المناوئين لهم ، خصوصاً والإمام عليّ بن الحسين عليه‌السلام يمثّل مظلوميّة آل البيت عليهم‌السلام ، بعد أن تعرّضوا لتصفية خصومهم الأمويّين ، واليوم معاوية بن يزيد يعلن للملأ عن أحقّيّة خصوم الأمويّين ومناوئيهم ، وبعد ذلك فهي محاولة لفضح مدّعيات النظام وإظهار مخالفته لأبسط القيم الإنسانيّة ، فضلاً عن الشرعيّة التي حاولت التشبّث بها.

روى العلّامة المامقاني عن تاريخ حبيب السير أنّه تخلّف ـ أي معاوية بن يزيد ـ أيّاماً قلائل، ثمّ صعد المنبر وخلع نفسه، ثمّ قال في كلامه: أيّها النّاس، قد نظرتُ في أُموركم وفي أمري، فإذا أنا لا أصلح لكم، والخلافة لا تصلح لي؛ إذ كان غيري أحقّ بها منّي، ويجب عليّ أن أُخبركم به، هذا عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام زين العابدين، ليس يقدر طاعن أن يطعن فيه، وإن أردتموه فأقيموه، على أنّي أعلم أنّه لا يقبلها[1].

من هنا نجد أنّ معاوية بن يزيد بن معاوية يتبنّى خط أهل البيت عليهم السلام، ويعترف بأحقّيّتهم، وينوّه بمشروعيّتهم، وهذا يعني أنّه رضوان الله عليه لم يكن قد تخلّى من منصبه ضعفاً، ولا تركه وهناً، وإنّما كانت قناعاته في أهل البيت عليهم السلام تدفعه إلى تبنّي قضيّتهم صلوات الله عليهم.

ولعلّ أحدنا يتساءل: إذا كان معاوية بن يزيد يؤمن بمشروعيّه أهل البيت عليهم السلام فإنّنا لم نجد له أي نشاطٍ يذكر في التعامل معهم، أو التعاطي مع وجودهم المتمثّل بالإمام زين العابدين عليه السلام، بل نجده بعيداً عنهم حتّى إنّ أحدهم لم يصرّح بموقفه هذا ويثني عليه قبولاً وترحّماً.

ولنا أن نجيب على ضوء تاريخ معاوية بن يزيد وكيفيّة تعامل الأمويّين معه في كتم أنفاسه وحبسها، ومن ثمّ معاجلة تصفيته فوراً لئلّا تقوى دعوته هذه، وتستفحل في الذهنيّة العامّة.

فإذا رجعنا إلى حيثيات مصرعه علمنا أنّ بني أُميّة لم يرقهم بقاءه بعد ما أعلن عن مشروعيّة أهل البيت عليهم السلام في الخلافة، وأنّ آل أبي سفيان غاصبون معتدون، فقد نقل المسعودي عن كيفيّة موت معاوية بن يزيد ما تنازع

---

(١) تنقيح المقال ٣: ٢٢٦.

فيه المؤرّخون، فقال:

وقد تنوزع في سبب وفاته، فمنهم من رأى أنّه سُقي شربةً، ومنهم من رأى أنّه مات حتف أنفه، ومن رأى أنّه طُعِن. وقبض وهو ابن اثنين وعشرين سنة، ودُفن بدمشق، وصلّى عليه الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان، ليكون الأمر له من بعده، فلمّا كبّر الثانية طُعن فسقط ميّتاً قبل تمام الصلاة، فقدّم عثمان بن عتبة بن أبي سفيان، فقالوا: نبايعك؟ قال: على أن لا اُحارب ولا اُباشر قتالاً، فأبوا ذلك عليه، فصار إلى مكّة، ودخل في جملة ابن الزبير[١].

هذه هي احتمالات مقتله حسبما اختلف فيها المؤرّخون، ونحن وإن كنّا نعرف منشأ هذا الاختلاف وأسبابه، إلّا أنّنا نرجّح تصفية معاوية بن يزيد، سواء كانت طعناً أو سمّاً؛ وذلك لأُمور:

أوّلاً: سيرة الأمويّين على تصفية خصومهم فيما إذا احتملوا تهديد مستقبلهم السياسي، وقد فعلوا بمن قبلهم من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، كقتل الإمام عليّ عليه السلام ـ الذي يرجع مقتله في حقيقة الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان، ولذلك بحث آخر لا نريد خوضه ـ وتصفية الإمام الحسن عليه السلام بالسمّ، ومصرع الإمام الحسين عليه السلام في المجزرة الدامية التي ارتكبها يزيد بن معاوية، وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ تصفية معاوية بن يزيد وإنهائه أوْلى؛ إذ يُعدّ مباشراً لنقل الخلافة من الأمويّين إلى أهل البيت عليهم السلام، وتمرّده على تقليديّتهم السياسية في توارث الخلافة، وتعاطيهم معها على أساس مُلكٍ كسروي وسلطانٍ قيصري، وهو اليوم يدعو إلى التخلّص من أسر هذه التقليديّة والتعامل مع واقع الخلافة الإلهيّة المتمثّلة بأئمّة أهل البيت عليهم السلام، وذلك أحقّ بالتصفية في نظرهم من السكوت عليه، أو الانتظار

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ٣: ٨٥.

في استفحال أمره وضياع ملكهم بعد ذاك بسببه.

ثانياً: تصفية مؤدّبه عمر المقصوص رضوان الله عليه، ودفنه حيّاً، فكيف بمصير معاوية الذي دعا إلى مبايعة أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وتخلّي الأمويّين عن منافستهم لهم.

ثالثاً: طعن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، حيث احتملوا طمعه في الخلافة بعد أن صلّى على معاوية بن يزيد، فكيف بمن دعى إلى خلاف مذهبهم السياسي؟!

ومن هنا تتّضح الإجابة على ما سبق؛ إذ تصفية معاوية بن يزيد جسدياً يستلزم تصفية فكره وإلغائه تماماً، والحذر الشديد والتقيّة التي كان يمارسها أهل البيت عليهم السلام تستدعي عدم الخوض في هذا الأمر، فضلاً عن ملاحقة أخباره ووأدها تاريخيّاً وفكريّاً من قِبل الأمويّين ومن سار على نهجهم.

هذه هي الأسباب التي توقّفنا على ضمور (ظاهرة) معاوية بن أبي سفيان، وعدم التعاطي معها تاريخيّاً وعلى المستويين: الشيعي ـ الذي عاش دور التقيّة ـ، والسنّي الذي لا يروق له التعرّف على شخصيّة معاوية بن يزيد المناقضة لتوجّهاتهم، والمخالفة لآرائهم في الشورى والإجماع وخلافة أسلافهم.



الخليفة العبّاسي المعتضد بالله

أبو العبّاس أحمد بن الموفّق. كان المعتضد أديباً شجاعاً سياسيّاً مهيباً شديد العقوبة، وكان شيعيّاً، أمر بلعن معاوية، وأن يكتب على المنابر خير النّاس بعد رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأمر بالنداء: برئت الذمّة ممّن ذكر معاوية بخير، أو ترحّم عليه، وأمر بإنشاء رسالة في معايبه ومساويه قرئت ببغداد على المنابر ـ وقد سردها العزيز بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ـ وأراد أن يكتب بها إلى أطراف المملكة، فأشار عليه الوزير أن لا يفعل وقال: نخشى أن تتحرّك العامّة، فقال المعتضد: أن تحرّكوا وضعت فيهم السيف، قال فكيف بالعلويّين الذين ثاروا في الأطراف؟ فإذا سمع بذلك من مناقب أهل البيت كانوا أميل إليهم فثناه عن ذلك واقتصر على النداء المذكور[1].

قال الطبري: وفي سنة ٢٤٨ عزم المعتضد بالله على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر، وأمر بإنشاء كتابٍ بذلك يقرأ على النّاس، فخوفه عبيدالله بن سليمان بن وهب اضطراب العامّة، وأنّه لا يأمن أن تكون فتنة فلم يلتفت إلى ذلك من قوله، وذكر أنّ أوّل شيء بدأ به المعتضد حين أراد ذلك الأمر بالتقدّم إلى العامّة بلزوم أعمالهم، وترك الاجتماع والقضيّة عند السلطان، إلّا أن يسئلوا عن شهادة

---

(١) نسمة السَّحر بذكر مَن تشيّع وشعر ـ اليماني الصنعاني ١ : ٢٦٢.

إن كانت عندهم، وبمنع القصاص[1] من القعود على الطرقات، وعلت بذلك نسخ قرئت بالجانبين بمدينة السلام في الأرباع والمحال والأسواق، فقرئت يوم الأربعاء لست بقين من جمادى الأولى من هذه السنة، ثمّ منع يوم الجمعة لأربع بقين منها القصاص من القعود في المسجدين ومنع الباعة من القعود في رحابهما، وفي جمادى الآخرة نودي في المسجد الجامع بنهي النّاس عن الاجتماع على قاصّ أو غيره، ومنع القصّاص وأهل الحلق من القعود في يوم الحادي عشر، وذلك يوم الجمعة نودي في الجامعين بأنّ الذمّة بريئة ممّن اجتمع من النّاس على مناظرة أو جدل، وأنّ من فعل ذلك أحلّ بنفسه الضرب، وتُقدّم إلى الشراب والذين يسقون الماء في الجامعين ألّا يترحّموا على معاوية، ولا يذكروه بخير[2]، وتحدّث النّاس أنّ الكتاب الذي أمر المعتضد بإنشائه بلعن

---

(١) الذين يروون القصص، ومعلوم أنّ هؤلاء كانوا يروّجون توجّهات الحاكم السياسي، ويحاولوا أن يشيعوا سياسته، فهم جهاز إعلامي مأجور من قِبل النظام.

(٢) هذه الاجراءات التي قام بها المعتضد العبّاسي محاولة منه لترتيب البنية الثقافيّة التحتيّة، وتثقيف العامّة بثقافة جديدة بعد أن حاولت الأنظمة السياسيّة المتعاقبة من غسل الدماغ الإسلامي وتعطيله وشلّه إلى حالة تقليديّة لا يعي ما يجري حوله، وحجبه عن معرفة وقائع الأحداث التاريخيّة التي جرت في وقتٍ ما، على أنّ الخليفة المعتضد أكّد على (التطهير) الثقافي الذي كان (يدنّس) الشارع البغدادي وقتذاك، فانتشار القصّاصين في الطرقات وانبثاثهم في المساجد وتجمّعاتهم في المنتديات الثقافيّة كلّ ذلك بسبب السياقات الفكريّة والثقافيّة السائدة التي حاولت الأنظمة السياسيّة المتعاقبة رواجها وإقحامها في الحياة العامّة، بل حاول الخليفة العبّاسي بصرامته أن يتدخّل في الحياة العامّة المنفلتة وقتذاك لتنظيمها بما ينسجم وعطاءات الظرف السياسي الجديد وتحوّلاته الفكريّة والثقافيّة، وتجنّب عبثيّة الشارع الثقافي الذي يعجّ بتوجّهات فكرية يبثّها القصّاصون، فضلاً عن إجراءاته الأمنيّة في منع التجمّعات العامّة لضمانة تنفيد الخطط الثقافيّة الجديدة.

معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر[١]، فلمّا صلّى النّاس الجمعة بادروا إلى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يُقرأ. فذكر أنّ المعتضد أمر بإخراج ا لكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه بلعن معاوية، فأخرج له من الديوان:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليّ العظيم، الحكيم العزيز، الرحيم المنفرد بالوحدانيّة، الباهر بقدرته، الخالق بمشيئته وحكمته، الذي يعلم سوابق الصدور، وضمائر القلوب، لا يخفى عليه خافية، ولا يُعزب عنه مثقال ذرّة في السموات العلى ولا في الأرضين السفلى، قد أحاط بكلّ شيء علماً، وأحصى كلّ شيء عدداً، وضرب لكلّ شيء أمداً، وهو العليم الخبير.

والحمد لله الذي برأ خلقه لعبادته، وخلق عباده لمعرفته على سابق علمه في طاعة مطيعهم، وماضي أمره في عصيان عاصيهم، فبيّن لهم ما يأتون وما يتّقون، ونهج لهم سبل النجاة، وحذّرهم مسالك الهلكة، وظاهَر عليهم الحجّة، وقدّم إليهم المعذرة، واختار لهم دينه الذي ارتضى لهم وأكرمهم به، وجعل المعتصمين بحبله والمتمسّكين بعروته أولياءه، وأهل طاعته، والعاندين عنه

---

(١) إلّا أنّ الذي يُلفت الانتباه إلى صرامة هذه الإجراءات وحذر الخليفة الشديد في التدرّج باتّخاذ الاحتياطات اللازمة لأي تحرّك قد يطرأ من العامّة أو يواجهه الخليفة من بعضهم، لذا فقد مهّد الخليفة غطاءً أمنيّاً في منع أي تجمّع يُحدثه العامّة تحسّباً لأي طارئ قد يطرأ بعد ذلك، فالخليفة كان حذراً من أحداثِ أي تحرّكٍ مضادٍّ تحدثه بعض التيّارات كردة فعلٍ على هذا الإعلان، فحالة الطوارئ أشبه بمنع تجوّل في شوارع العاصمة، ومنع الباعة من التعاطي مع الآخرين، وأمر النّاس بالالتحاق بأعمالهم لمنع أيّة فوضى محتملة ممّا يعني أنّ المعتضد كان متوجّساً من خطورة الانقلاب العقائدي والفكري الذي سيحدثه إعلانه بسبّ معاوية وتفضيل عليّ عليه السلام.

والمخالفين له أعداءه، وأهل معصيته؛ ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحي من حيّ عن بيّنةٍ، وأنّ الله لسميع عليم.

والحمد لله الذي اصطفى محمّداً رسوله من جميع بريّته، واختاره لرسالته، وابتعثه بالهدى والدين المرتضى إلى عباده أجمعين، وأنزل عليه الكتاب المبين المستبين، وتأذن له بالنصر والتمكين، وأيّده بالعزّ والبرهان المتين، فاهتدى به من اهتدى، واستنقذ به من استجاب له من العمى، وأضلّ من أدبر وتولّى، حتّى أظهر الله أمره، وأعزّ نصره، وقهر من خالفه، وأنجز له وعده، وختم به رسله، وقبضه مؤدّياً لأمره، مبلّغاً لرسالته، ناصحاً لأمّته، مرضيّاً مهتدياً إلى أكرم مآب المنقلبين، وأعلى منازل أنبيائه المرسلين وعباده الفائزين، فصلّى الله عليه أفضل صلاة، وأتمّها، وأجلّها، وأعظمها، وأزكاها، وأطهرها، وعلى آله الطيّبين.

وقد[١] انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة من العامّة من شبهة قد دخلتهم في أديانهم، وفساد قد لحقهم في معتقدهم، وعصبيّة قد غلبت عليها أهوائهم، ونطقت بها ألسنتهم على غير معرفة ولا رويّة، وقلّدوا فيها قادة الضلالة بلا بيّنة ولا بصيرة، وخالفوا السنن المتّبعة إلى الأهواء المبتدعة. قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[٢]؛ خروجاً عن الجماعة، ومسارعة إلى الفتنة، وإيثاراً للفرقة، وتشتيتاً للكلمة، وإظهاراً لموالاة مَن قطع الله عنه الموالاة، وبتر منه العصمة، وأخرجه من الملّة، وأوجب عليه اللعنة، وعظيماً لمن صغّر الله حقّه، وأوهن أمره، وأضعف ركنه من

---

(١) إلى هنا يشترك الطبري وابن أبي الحديد في إيراد الرسالة، والزيادة التي قبلها غير واردة في شرح نهج البلاغة، فأوردنا ما اشتركا به.

(٢) سورة القصص: الآية ٥٠.

بني أُميّة ، الشجرة الملعونة ، ومخالفة لمن استنقذهم الله أمره من المسلمين ، وإهمالاً لمن أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين ، وتبصير الجاهلين ، وإقامة الحجّة على الشاكّين ، وبسط اليد على المعاندين ، وأمير المؤمنين يرجع إليكم معشر النّاس بأنّ الله عزّ وجلّ لمّا ابتعث محمّداً بدينه ، وأمره أن يصدع بأمره بدأ بأهله وعشيرته ، فدعاهم إلى ربّه ، وأنذرهم وبشّرهم ونصح لهم وأرشدهم ، فكان من استجاب له ، وصدّق قوله ، واتّبع أمره نفرٌ يسير من بني أبيه من بين مؤمن بما أتى به من ربّه ، وبين ناصر له ، وإن لم يتّبع دينه إعزازاً له ، وإشفاقاً عليه ؛ لما مضى علم الله فيمن اختار منهم ، ونفذت مشيئته فيما يستودعه إيّاه من خلافته ، وإرث نبيّه ، فمؤمنهم مجاهد بنصرته وحميّته ، يدفعون من نابذه ، وينهرون من عاره وعانده ، ويتوثّقون له ممّن كانفه وعاضده ، ويبايعون له من سمح بنصرته ، ويتجسّسون له أخبار أعدائه ، ويكيدون له بظهر الغيب ، كما يكيدون له برأي العين ، حتّى بلغ المدى ، وحان وقت الاهتداء ، فدخلوا في دين الله وطاعته ، وتصديق رسوله ، والإيمان به بأثبت بصيرة ، وأحسن هدى ورغبة ، فجعلهم الله أهل بيت الرحمة وأهل بيت الدين أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، ومعدن الحكمة ، وورثة النبوّة ، وموضع الخلافة ، وأوجب لهم الفضيلة ، وألزم العباد لهم الطاعة ، وكان ممّن عانده ونابذه وكذّبه وحاربه من عشيرته العدد الأكثر ، والسواد الأعظم يتلقّونه بالتكذيب والتثريب ، ويقصدونه بالأذية والتخويف ، ويبارزونه بالعداوة ، وينصبون له المحاربة ، ويصدّون عنه من قصده ، وينالون بالتعذيب من اتّبعه ، وأشدّهم في ذلك عداوة ، وأعظم له مخالفة ، وأوّلهم في كلّ حرب ومناصبة لا يرفع على الإسلام راية إلّا كان صاحبها وقائدها ورئيسها في كلّ مواطن الحرب من بدر وأُحد والخندق والفتح أبو سفيان بن حرب وأشياعه من بني أُميّة الملعونين في كتاب الله ، الملعونين على لسان

رسول الله في عدّة مواطن ، وعدّة مواضع لما مضى في علم الله فيهم وفي أمرهم ، ونفاقهم ، وكفر أحلامهم ، فحارب مجاهداً ، ودافع مكابداً ، وأقام منابذاً ، حتّى قهره السيف وعلا أمر الله وهم كارهون ، فتقوّل بالإسلام غير منطوٍ عليه ، وأسرَّ الكفر غير مقلع عنه ، فعرفه بذلك رسول الله ﷺ والمسلمون ، وميّز له المؤلّفة قلوبهم فقبله وولده على علم منه ، فممّا لعنهم الله به على لسان نبيّه ﷺ وأنزل به كتاباً قوله : ﴿ **وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً** ﴾[(١)] ، ولا اختلاف بين أحدٍ أنّه أراد بها بني أُميّة ، ومنه قولة الرسول عليه السلام وقد رآه مقبلاً على حمار ، ومعاوية يقود به ، ويزيد ابنه يسوق به : «لعن الله القائد والراكب والسائق» ، ومنه ما يرويه الرواة من قوله : «يا بني عبد مناف ، تلقفوها تلقف الكرة ، فما هناك جنّة ولا نار» ، وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنة من الله كما لحقت الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، ومنه ما يروون من وقوفه على ثنية أُحد بعد ذهاب بصره ، وقوله لقائده : «هاهنا ذببنا محمّداً وأصحابه» ، ومنه الرؤيا التي رآها النبيّ ﷺ ، فوجم لها فما رؤي ضاحكاً بعدها ، فأنزل الله : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ** ﴾[(٢)] ، فذكروا أنّه رأى نفراً من بني أُميّة ينزون على منبره ، ومنه طرد رسول الله ﷺ الحكم بن أبي العاص لحكايته إيّاه ، وألحقه الله بدعوة رسوله آيةً باقيّة حين رآه يتخلّج فقال له : كن كما أنت ، فبقي على ذلك سائر عمره إلى ما كان من مروان في افتتاحه أوّل فتنة كانت في الإسلام ، واحتقابه لكلّ دم سُفك فيها أو أُريق بعدها ، ومنه ما أنزل الله على نبيّه في سورة القدر : ﴿ **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾ من ملك بني أُميّة ، ومنه أنّ رسول الله ﷺ دعا بمعاوية ليكتب بأمره

---

(١) و (٢) سورة الإسراء : الآية ٦٠.

بين يديه، فدافع بأمره، واعتلّ بطعامه، فقال النبيّ: لا أشبع الله بطنه، فبقى لا يشبع ويقول: والله ما أنزل الطعام شبعاً ولكن أعيا، ومنه أنّ رسول الله ﷺ قال: يطلع من هذا الفجّ رجلٌ من أُمّتي يحشر على غير ملّتي، فطلع معاوية، ومنه أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها، ينادي: يا حنّان، يا منّان، الآن وقد عصيت قبلُ وكنتُ من المفسدين، ومنه انبراؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً، وأقدمهم سبقاً، وأحسنهم فيه أثراً وذِكراً عليّ بن أبي طالب[1]، ينازعه حقّه بباطله، ويجاهد أنصاره بضلاله وغوايته، ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه من إطفاء نور الله، وجحود دينه، ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولو كره المشركون.

يستهوي أهل الغباوة، ويموّه على أهل الجهالة بمكره وبغيه اللذين قدم رسول الله ﷺ الخبر عنهما، فقال لعمّار: «تقتلك الفئة الباغية، تدعوهم إلى الجنّة ويدعونك إلى النّار»، مؤثراً للعاجلة، كافراً بالآجلة، خارجاً من رتبة الإسلام، مستحلّاً للدم الحرام، حتّى سفك في فتنته، وعلى سبيل ضلالته ما لا يحصى عدده من خيار المسلمين الذابّين عن دين الله، والناصرين لحقّه، مجاهداً لله، مجتهداً في أن يعصى الله فلا يُطاع، وتبطل أحكامه فلا تُقام، ويخالف دينه فلا يدان، وأن تعلو كلمة الضلالة، وترتفع دعوة الباطل، وكلمة الله هي العليا، ودينه المنصور، وحكمه المتّبع النافذ، وأمره الغالب، وكيد من حادّه المغلوب الداحض، حتّى احتمل أوزار تلك الحروب وما اتّبعها، وتطوّق تلك الدماء وما سفُك بعدها، وسنّ سنن الفساد التي عليه إثمها وإثم مَن عمل بها إلى يوم القيامة،

---

(١) من هنا يُظهر الخليفة العبّاسي بوضوح تشيّعه وولاءه لعليّ عليه السلام، حين يفضّله على كلّ أحد بعد رسول الله ﷺ، وينفي إمامة ما عداه.

وأباح المحارم لمن ارتكبها، ومنع الحقوق أهلها، واغترّه الإملاء، واستدرجه الإمهال، والله له بالمرصاد.

ثمّ ممّا أوجب الله له به اللعنة قتله من قتل صبراً من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والديانة، مثل عمرو بن الحمق، وحجر بن عدي، فمن قتل أمثالهم في أن يكون العزّة والملك والغلبة، ولله العزّة والملك والقدرة، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً** ﴾[١].

وممّا استحقّ به اللعنة من الله ورسوله ادّعاؤه زياد بن سميّة جرأة على الله، والله يقول: ﴿ **ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللهِ** ﴾[٢] ورسول الله ﷺ يقول: «ملعون من ادعى إلى غير أبيه، وانتمى إلى غير مواليه»، ويقول: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»، فخالف حكم الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه ﷺ جهاراً، وجعل الولد لغير الفراش، والعاهر لا يضرّه عهره، فأدخل بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أُمّ حبيبة زوجة النبيّ ﷺ، وفي غيرها من سفُور وجوه ما قد حرّمه الله، وأثبت بها قربى قد باعدها الله، وأباح بها ما قد حظره الله ممّا لم يدخل على الإسلام خللٌ مثله، ولم ينل الدين تبديل شبهة، ومنه إيثاره بدين الله، ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبّر الخمير صاحب الفهود والقرود، وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والاخافة والتهديد والرهبة، وهو يعلم سفهه، ويطّلع على خبثه ورهقه، ويعاين سكرانه وفجوره وكفره، فلمّا تمكّن منه ما مكّنه منه، ووطأه له، وعصى الله ورسوله فيه طلب بثأرات المشركين

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٣.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥.

وطوائلهم عند المسلمين، فأوقع بأهل الحرّة الوقيعة التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش ممّا ارتكب من الصالحين فيها وشفى بذلك عبد نفسه وغليله وظنّ أن قد انتقم من أولياء الله، وبلغ النوى لأعداء الله، فقال: مجاهراً بكفره، ومُظهراً لشركه:

لَيْتَ أَشْياخي بِبَدْرٍ شَهِدُوا	جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلْ
قَدْ قَتَلْنَا الْقَوْمَ مِنْ ساداتِهِمْ	وَعَدَلْناهُ بِبَدْرٍ فَاعْتَدَلْ
فَأَهَلُّوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحاً	ثُمَّ قالُوا: يا يَزِيدُ لا تُشَلْ
لَسْتُ مِنْ خِنْدِفَ إِنْ لَمْ أَنْتَقِمْ	مِنْ بَني أَحْمَدَ ما كانَ فَعَلْ
لَعِبَتْ هاشِمُ بِالْمُلْكِ فَلا	خَبَرٌ جاءَ وَلا وَحْيٌ نَزَلْ

هذا هو المروق من الدين، وقول من لا يرجع إلى الله، ولا إلى دينه، ولا إلى كتابه، ولا إلى رسوله، ولا يؤمن بالله، ولا بما جاء من عند الله، ثمّ من أغلط ما انتهك، وأعظم ما اخترم سفكه دم الحسين بن عليّ، وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، مع موقعه من رسول الله، ومكانه منه، ومنزلته من الدين والفضل، وشهادة رسول الله ﷺ ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنّة، اجتراءً على الله، وكفراً بدينه، وعداوة لرسوله، ومجاهدةً لعترته، واستهانةً بحرمته، فكأنّما يقتل به وبأهل بيته قوماً كفّار أهل الترك والديلم، لا يخاف من الله نقمة، ولا يرقب منه سطوة، فبتر الله عمره، واجتثّ أصله وفرعه، وسلبه ما تحت يده، وأعذله من عذابه وعقوبته ما استحقّه من الله بمعصيته، هذا إلى ما كان من بني مروان من تبديل كتاب الله، وتعطيل أحكامه، واتّخاذ مال الله دولاً بينهم، وهدم بيته، واستحلال حرامه، ونصبهم المجانيق عليه، ورميهم إيّاه بالنيران، لا يألون له إحراقاً وإخراباً، ولمّا حرّم الله منه استباحة وانتهاكاً، ولمن لجأ إليه قتلاً وتنكيلاً،

ولمن أمّنه الله به إخافة وتشريداً، حتّى إذا حقّت عليهم كلمة العذاب، واستحقّوا من الله الانتقام، وملؤوا الأرض بالجور والعدوان، وعملوا عباد الله بالظلم والاقتسار، وحلّت عليهم السخطة، ونزلت بهم من الله السطوة، وأتاح الله لهم من عترة نبيّه، وأهل وراثته من استخلصتهم منهم بخلافته، مثل ما أتاح الله من أسلافهم المؤمنين، وآبائهم المجاهدين لأوائلهم الكافرين، فسفك الله بهم دماءهم مرتدّين، كما سفك بآباهم دماء آباء الكفرة المشركين، وقطع الله دابر القوم الظالمين، والحمد لله ربّ العالمين، ومكّن الله المستضعفين، وردّ الله الحقّ إلى أهله المستحقّين، كما قال جلّ شأنه: ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** ﴾[١].

واعلموا أيّها النّاس، أنّ الله عزّ وجلّ إنّما أمر ليُطاع، ومثل ليُمتثل، وحكم ليُقبل، وألزم الأخذ بسنّة نبيّه ﷺ ليتّبع، وإنّ كثيراً ممّن ضلّ فالتوى، وانتقل من أهل الجهالة والسفاه ممّن اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ** ﴾[٢].

فانتهوا معاشر النّاس عمّا يسخط الله عليكم، وراجعوا ما يرضيه عنكم، وارضوا من الله بما اختار لكم، وألزموا ما أمركم به، وجانبوا ما نهاكم عنه، واتّبعوا الصراط المستقيم، والحجّة البيّنة، والسبل الواضحة، وأهل بيت الرحمة الذين هداكم الله بهم بديئاً، واستنقذكم بهم من الجور والعدوان أخيراً، وأصاركم إلى الخفض والعزّ بدولتهم، وشملكم الصلاح في أديانكم ومعايشكم في أيّامهم، والعنوا من لعنه الله ورسوله، وفارِقوا من لا تنالون القربة من الله

---

(١) سورة القصص: الآية ٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٢.

إلّا بمفارقته[١].

اللّهمّ العن أبا سفيان بن حرب ، ومعاوية ابنه ، ويزيد بن معاوية ، ومروان بن الحكم وولده. اللّهمّ العن أئمّة الكفر ، وقادة الضلالة ، وأعداء الدين ، ومجاهدي الرسول ، ومغيّري الأحكام ، ومبدّلي الكتاب ، وسفّاكي الدم الحرام.

اللهمّ إنّا نتبرّأ إليك من موالاة أعدائك ، ومن الاغماض لأهل معصيتك ، كما قلت : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾[٢].

يا أيّها النّاس ، اعرفوا الحقّ تعرفوا أهله ، وتأمّلوا سبل الضلالة تعرفوا سابلها ، فإنّه إنّما يبين عن النّاس أعمالهم ، ويلحقهم بالضلال والصلاح آباؤهم ، فلا يأخذ في الله لومة لائم ، ولا يميلنّ بكم عن دين الله استهواء مَن يستهويكم ، وكيد مَن يكيدكم ، وطاعة مَن تخرجكم طاعته إلى معصية ربّكم.

أيّها النّاس ، بنا هداكم الله ، ونحن المستحفظون فيكم الله ، ونحن ورثة رسول الله ، والقائمون بدين الله ، فقفوا عندما نقفكم عليه ، وأنفذوا لما نأمركم به ، فإنّكم ما أطعتم خلفاء الله وأئمّة الهدى على سبيل الإيمان والتقوى ، أمير المؤمنين يستعصم الله ويسأله توفيكم ، ويرغب إلى الله في هدايتكم لرشدكم ، وفي حفظ دينه عليكم ، حتّى تلقوه به مستحقّين طاعته ، مستحقّين لرحمته ، والله حسب

---

(١) وهذه دعوة صريحة من قِبل الخليفة المعتضد العبّاسي للتبرّي من خطّ السلف ، والالتزام بمنهج أهل البيت عليهم‌السلام ، إلّا أنّه مراعاة للظرف الفكري الخطير عنون دعوته بالتبرّي من معاوية بن أبي سفيان ، ومعلوم أنّ الدعوة تشمل التبرّي من معاوية ، ومن ملازمات خطّه ، وهو امتداد خطّ الشيخين ومن والاهما ، وهو معاوية بن أبي سفيان ومَن على شاكلته.

(٢) سورة المجادلة : الآية ٢٢.

إلى هنا ينتهي كتاب الخليفة المعتضد العبّاسي في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ١٧٣ ـ ١٧٨.

أمير المؤمنين فيكم وعليه توكّله، وبالله على ما قلّده من أُموركم استعانته، ولا حول لأمير المؤمنين ولا قوّة إلّا بالله، والسلام عليكم.

وكتب أبو القاسم عبيدالله بن سليمان في سنة ٢٨٤[١].

هذه الرسالة التي قرأناها تمثّل منعطفاً فكريّاً خطيراً في توجّهات الخلافة العبّاسيّة التي يمثّلها الخليفة المعتضد، ولم تكن هذه الحالة الفكريّة الجديدة تنطلق من فراغٍ يدفعُ الخليفة إلى مزاولةِ ترفٍ فكري يحاول من خلاله تعميم رؤيةٍ فكريّة جديدة يبيّنها لرعاياه بقدر ما هي قناعةٍ فكريّة تزجُّ بالخليفة إلى معتركٍ سياسي خطير هو في غنى عنه.

فالتحوّلات الفكريّة للخليفة في ولائه لأئمّة أل البيت عليهم السلام، وإظهار معائب أعدائهم نتيجة طبيعيّة يصل إليها المسلم الواعي الذي يمثّل الخليفة العبّاسي إحدى شرائحهِ البارزة، وهي حالة طبيعيّة تدفعُ بالإنسان حين تجرّده عن تقليديّاته القبليّة، فالخليفة العبّاسي يتحرّر من قيود هذه التبعيّة الثقافيّة القبليّة، ويبحث في حيثيّات المشروع التاريخي الإسلامي ليقرأه قراءةً جديدة، ليعيد النظر في كلّ مواقفه والتزاماته، بل ومستحقّاته الثقافية التي عهدها منذ طفولته.

على أنّ الفكر الشيعي يمثّل الحالة الطبيعيّة للفرد المسلم إذا ما خلّي ونفسه، ومحاولة الخليفة العبّاسي من إرجاع الأُمّة إلى فكر أهل البيت عليهم السلام، والتخلّي من حالة التقليديّات الثقافيّة خطوة مهمّة في تصحيح مسيرة الأُمّة التي حرفت توجّهاتها الثقافيّة عقود سياسيّة مريرة.

وإذا أرجعنا هذا الانعطاف إلى تحرّر المعتضد من تقليديّاته الفكريّة وانفتاحه

---

(١) تاريخ الطبري ٨: ١٨٢ ـ ١٨٩، وأشار إلى هذا الكتاب السيوطي في تاريخ الخلفاء: ٣٤٤.

على فكر آل البيت عليهم السلام ، فإنّ المسعودي في مروج الذهب يوعز ذلك التحوّل إلى رؤيا عنّت للمعتضد فأحالته مناصراً لمذهب أهل البيت عليهم السلام ، فيقول :

وكان ورد مال من محمّد بن زيد من بلاد طبرستان ليفرّق في آل أبي طالب سرّاً ، فغُمز بذلك إلى المعتضد فأحضر الرجل الذي كان يحمل المال إليهم ، فأنكر عليه إخفاء ذلك ، وأمره بإظهاره ، وقرّب آل أبي طالب ، وكان السبب في ذلك قرب النسب[١].

ولِما أخبرنا به أبو الحسن محمّد بن علي الورّاق الأنطاكي الفقيه المعروف بابن الغنوي بأنطاكية ، قال : أخبرني محمّد بن يحيى بن أبي عبّاد الجليس قال : رأى المعتضد بالله وهو في سجن أبيه كأنّ شيخاً جالساً على دجلة ، يمدُّ يدهُ إلى ماء دجله فيصير في يده ، وتجفُّ دجلة ، ثمّ يردّه من يده ، فتعود دجلة كما كانت ، قال : فسألت عنه فقيل لي : هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال فقمت إليه وسلّمت عليه ، فقال : يا أحمد ، إنّ هذا الأمر صائر إليك فلا تتعرّض لولدي ، ولا تؤذهم ، فقلت : السمع والطاعة يا أمير المؤمنين[٢].

وعلى ما يبدو أنّ هذه الرؤيا تبعث عمّا تكنّه نفس المعتضد من استشعار الحقّ لآل أبي طالب ، ومحاولاته في قراءة الحدث التاريخي قراءة يتجرّد المعتضد عن

---

(١) لم يكن النسب هو السبب في كلّ هذه التغيّرات ، ولو كان النسب شافعاً لدى الخلفاء العبّاسيّين لما كانت مجازر العلويّين على يد بني العبّاس تحكيها ملاحم تاريخيّة لا يمكن نكرانها ولما اندفع العبّاسيّون إلى تصفية خصومهم العلويّين ، وزجّ أئمّتهم عليهم السلام في قعر السجون ، وظلم المطامير ، بل السبب أبعد من ذلك وهو الدافع الفطري الذي دعا بالمعتضد إلى إعادة قراءة التاريخ ومجريات الأحداث الإسلاميّة من جديد ، وهذا الدافع يتمتّع به أي إنسانٍ يرقى بتحرّره من قيود التبعيّات الثقافيّة التقليديّة المفروضة عليه.

(٢) مروج الذهب ٤ : ٢٨٨.

(عبّاسيّته) ليعيش في معطيات تحرّراته الثقافية، وانفتاحه على الآخر، فوجد في نوازعه ما يدعوه إلى الانتماء لآل البيت عليهم السلام، فكانت هذه الرؤيا شاهدة على صحّة ما توصّلت إليه استقراءات المعتضد العبّاسي.



الخليفة العبّاسي المنتصر بالله

هو الخليفة المنتصر بالله أبو القاسم محمّد بن المتوكّل على الله ، أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله ، أبي إسحاق محمّد بن هارون الرشيد الهاشمي العبّاسي البغدادي.

قال الصنعاني : كان المنتصر شيعيّاً ، ووالده المتوكّل من زنادقة النواصب ، فتمكّنت عداوة المنتصر لأبيه ، ورأى منه ما يقتضي الانحلال عن الإسلام مثل هدمه قبر الحسين عليه السلام ، وخاف منه ، فأعمل الحيلة في قتله حتّى قتله.

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي في الجهوريّة : دخل المنتصر رحمه الله على أبيه المتوكّل ليلةً وقدّامه رجل قد تزيّا بزي عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وقد كبّر بطنه ، فتبيّن الغضب في وجه المنتصر ، ففطن المتوكّل ، وكان ذلك أحد الأسباب الباعثة للمنتصر على قتل أبيه.

وأظهر المنتصر خلاف مذهب أبيه في كلّ شيء ، وطرد مَن كان يتقرّب إليه بهجاء عليّ عليه السلام من الشعراء ، كعليّ بن الجهم ، ومروان بن أبي حفصة الصغير.

وكان المنتصر ملكاً شجاعاً حازماً كريماً سرياً شاعراً أديباً[1].

قال المسعودي : وكان آل أبي طالب قبل خلافته في محنةٍ عظيمة ،

---

(١) نسمة السَّحر بذكر مَن تشيّع وشعر ـ اليماني الصنعاني ٣ : ١٨١ ، وما بعدها.

وخوف على دمائهم، قد مُنعوا من زيارة قبر الحسين والغريّ من أرض الكوفة، وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد، وكان الأمر بذلك من المتوكّل سنة ستّ وثلاثين ومئتين، وفيها أمر المعروف بالزيريج بالسير إلى قبر الحسين بن عليّ (رضي الله تعالى عنهما) وهدمهِ ومحوِ أرضه وإزالة أثره، وأن يعاقب من وجد به، فبذل الرغائب لمن تقدّم على هذا القبر، فكلّ خشي العقوبة وأحجم، فتناول الزيريج مسحاةً وهدم أعالي قبر الحسين، فحينئذٍ أقدم الفَعَلة فيه، وأنّهم انتهوا إلى الحفرة وموضع اللحد فلم يروا فيه أثر رمة ولا غيرها، ولم تزل الأمور على ما ذكرنا إلى أن استخلف المنتصر، فأمّن النّاس، وتقدّم بالكفّ عن آل أبي طالب، وترك البحث عن أخبارهم، وأن لا يمنع أحد زيارة الحيرة لقبر الحسين رضي الله تعالى عنه، ولا قبر غيره من آل أبي طالب، وأمر برد فدك إلى وِلد الحسن والحسين، وأطلق أوقاف آل أبي طالب، وترك التعرّض لشيعتهم، ودفع الأذى عنهم، وفي ذلك يقول البحتري من أبيات له:

ولقد بررت الطالبيّة بعد ما ... ذمّوا زماناً بعدها وزمانا
ورددت ألفة هاشم فرأيتهم ... بعد العداوة بينهم اخوانا
آنست ليلهُمُ وجدتَ عليهمُ ... حتّى نسوا الأحقاد والأضغانا
لو يعلم الأسلاف كيف بررتهم ... لرأوك أثقل مَن بها ميزانا[١]

وذكر السيوطي عند تاريخه للمنتصر: محسناً إلى العلويّين، وصولاً لهم، وأزال عن آل أبي طالب ما كانوا فيه من الخوف والمحنة يمنعهم من زيارة قبر الحسين، وردّ على آل الحسين فدك[٢].

---

(١) مروج الذهب ٤: ١٤٧.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٣٣٠.

قال الطبري : وليَ المنتصر أبا عمرة أحمد بن سعيد مولى بني هاشم بعد البيعة بيوم المظالم.

وقال : ذكر أنّ المنتصر لمّا ولي الخلافة كان أوّل شيء أحدث من الأمور عزل صالح عن المدينة ، وتولية عليّ بن الحسين بن إسماعيل بن العبّاس بن محمّد إيّاها ، فذكر عن عليّ بن الحسين بأنّه قال : دخلت عليه أودّعه فقال لي : يا عليّ ، إنّي أُوجّهك إلى لحمي ودمي ، ومدّ جلد ساعده ، وقال : إلى هذا وجّهتك فانظر كيف تكون للقوم ، وكيف تعاملهم ، يعني آل أبي طالب ، فقلت : أرجو أن أمتثل رأي أمير المؤمنين أيّده الله فيهم إن شاء الله فقال : إذن تسعد بذلك عندي[1].

قال الاصفهاني في مقاتل الطالبيّين : وكان المنتصر يظهر إلى أهل هذا البيت ، ويخالف أباه في أفعاله ، فلم يجرمنه على أحد منهم قتل أو حبس ولا مكروه فيما بلغنا ، والله العالم[2].

وبذلك يسجّل المنتصر العبّاسي صفحة مشرقة مضيئة في تاريخ تلك الحقبة المريرة التي عانى منها آل البيت عليهم السلام وأتباعهم ، وبذلك فقد تحرّر المنتصر من وثنيّة التقليد العبّاسي الذي يسحق معه كلّ مبدأ وأخلاق وقيم.



---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٤١٦.

(٢) مقاتل الطالبيّين ـ أبو الفرج الاصفهاني : ٥٠٤.

المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي

وهو ابن خالد بن الوليد المعروف بتحيّزه لصالح الشيخين على حساب عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، لم يبايع خالد عليّ بن أبي طالب ، فكان مغاضباً له ، منحرفاً عنه.

كان المهاجر ولده مع أمير المؤمنين يوم الجمل ويوم صفّين ، بخلاف أخيه عبدالرحمن؛ حيث كان عثمانيّاً ، وكان بصفّين مع معاوية ، واستشهد المهاجر بصفّين مع عليّ عليه السلام[1].

قال ابن أبي الحديد: كان المهاجر بن خالد بن الوليد علويّ الرأي جدّاً ، وكان أخوه عبدالرحمن بخلافه. شهد المهاجر صفّين مع عليّ وشهدها عبدالرحمن مع معاوية ، وكان المهاجر مع عليّ يوم الجمل وفقئت ذلك اليوم عينه.

وفي خزانة الأدب عن الأغاني: كان المهاجر مع عليّ عليه السلام بصفّين ، وكان هاشمي المذهب[2].

قال في الإصابة: المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي.. شهد صفّين مع عليّ ، وشهد قبلها الجمل ففقئت عينه.. وذكر الدولابي في الكنى من طريق

---

(١) تنقيح المقال ٣ : ٢٦٠.

(٢) أعيان الشيعة ١٥ : ١١.

الحسن بن عثمان ، قال : وممّن قُتل بصفّين من أصحاب عليّ ، المهاجر بن خالد بن الوليد ، وكذا قال يعقوب بن شيبة في مسنده[١].

وقال عند ترجمته عبدالرحمن بن خالد : وكان يؤمر على غزو الروم أيّام معاوية ، وشهد معه صفّين ، وكان أخوه المهاجر بن خالد مع عليّ في حروبه[٢].



---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٣ : ٤٨٠.

(٢) المصدر المتقدّم : ٦٨.

الخليفة العبّاسي الناصر لدين الله

ولد (٥٥٢)، وبويع له بالخلافة (٥٧٥)، ومات (٦٢٢).

قال ابن الطقطقي في الآداب السلطانيّة: كان من أفاضل الخلفاء، يفاوض العلماء، وكان يرى رأي الإماميّة، وأحبّ مباشرة أعمال الرعيّة بنفسه، حتّى كان يتمشّى في الليل في دروب بغداد. وكذا ذكر اليافعي في مرآة الجنان (٤: ٥٠).

وهو أطول بني العبّاس مُلكاً، كما أنّ الناصر الأموي صاحب الأندلس أطول بني أُميّة دولةً، والمستنصر العبيدي أطول بني عبيد، والسلطان سنجر أطول بني سلجوق.

وفي سنة وفاته توفّي الملك الأفضل نور الدين عليّ بن صلاح الدين يوسف الأيّوبي، الذي كتب إلى الناصر شكاية عن أخيه العزيز وعمّه العادل:

مولاي إنّ أبا بكر وصاحبه ... عثمان قد غصبا بالسيف حقّ عليّ
وخالفاه وحلّا عقد بيعته ... فالأمر بينهما والنصّ فيه جليّ
فانظر إلى حظّ هذا الاسم كيف لقى ... من الأواخر ما لاقى من الأوّلِ

فكتب الناصر إليه:

وافى كتابك يابن يوسف معلناً ... بالحقّ يخبر أنّ أصلك طاهرُ
غصبوا عليّاً حقّه إذ لم يكن ... بعد النبيّ له بيثرب ناصر

فابشر فإنّ غداً عليه حسابهم ... واصبر فناصرك الإمام الناصر

وقال ابن جبير : أنّه كان يحبّ الظهور للعامّة ، ويؤثر التحبّب إليهم . وقال السيوطي نقلاً عن ابن النجّار : دانت له السلاطين ، وخطب له بلاد الأندلس وبلاد الصين[1].

ومن شعر له مشيراً إلى ولده الظاهر :

بليت حتّى بأدنى النّاس من جلدي ... يريد موتي وبأرواح نفديه

وكتب إليه خادم له اسمه يمن ورقة تتضمّن عتاباً ، فكتب في جوابه :

يمن يمن يمن يمن ... ثمن ثمن ثمن ثمن

وجمع الناصر المخطوطات النفيسة في قصره ، وأسّس مكتبات للمدارس والمساجد ، وشيّد أبنية منها دور الضيافة للحاجّ ورباط المرزبانيّة ورباط الخلاطية .

ومن آثاره الباقية الباب المشبّك من الخشب المنصوب على الصفة بالسرداب المقدّس في سامراء ، عمله في سنة ٦٠٦ ، كما كتب عليه : بمباشرة السيّد الجليل الشريف معد بن الحسين بن معد الموسوي ، ولعلّه ابن أخي السيّد النسّابة فخار بن معد الموسوي ، والسيّد فخار هذا يروي عن الناصر المترجم له إجازة . وللمترجم له فضائل أمير المؤمنين رواه ابن طاووس في كتابه اليقين عن فخار المذكور عن المؤلّف الناصر هذا .

وله أيضاً روح العارفين حكاه في كشف الظنون عن التفتازاني ، وهو في الحديث ، قال في تجارب السلف : أنّه قرأها علماء المذاهب الأربعة جميعاً

---

(١) تاريخ الخلفاء : ٤٦١ .

على الناصر، وكتب هو بخطّه لهم إجازة الرواية عنه.

وحكى الأب انستاس الكرملي في خلاصة تاريخ العراق: أنّ عليّ بن أنجب المقداد الخازن المعروف بابن الساعي ألّف الروض الناضر في أحوال الإمام الناصر في خمسة مجلّدات.

وفي عهد الناصر أخذت الشيعة بالظهور والانتشار في بغداد من جديد بعد الاضطهادات التي لاقوها بعد زوال آل بويه[١].

قال الصنعاني في نسمة السحر: وكان [أي الناصر] خليفة فاضلاً حازماً أديباً سعيداً، ومن العجائب أنّه كان من الشيعة الإماميّة في الإمامة والمعتقد، وكان يرى نفسه نائباً للإمام المنتظر عليه السلام، وبذلك ذكره الذهبي وعجب منه، ودانت له الدنيا وعانقته السعادة، ودامت خلافته سبعاً وأربعين سنة، ولم يتولّها أحدٌ من آبائه هذه المدّة، ومن سعادته استرجاع بيت المقدس وسائر ساحل الشام إلّا القليل من أيدي الافرنج في أيّامه بعد أن ملكوه من أيّام الإمام الآمر بأحكام الله الفاطمي إلى معرفته، ففتح بأيدي الغز فكانوا ينتمون إليه[٢].

وكان الناصر العبّاسي مهيباً شجاعاً عالماً، وعلى ما يظهر له معرفة بالعلوم الغريبة، أو كانت له قابليّة يطّلع به على السرّ. قال السيوطي: لمّا دخل رسول صاحب مازندران بغداد كانت تأتيه ورقة كلّ صباح بما عمل في الليل، فصار ـ أي الرسول ـ يبالغ في التكتّم والورقة تأتيه بذلك، فاختلى ليلة بامرأة دخلت من باب السرّ فصبحته الورقة بذلك، وفيها: «كان عليكم دواج فيه صورة الفيلة»، فتحيّر وخرج من بغداد وهو لا يشكّ أنّ الخليفة يعلم الغيب.

---

(١) طبقات أعلام الشيعة ١: ٤ ـ ٥.

(٢) نسمة السَّحر بذكر مَن تشيّع وشعر ـ اليماني الصنعاني ١: ٢٥٣.

وأتى رسول خوارزم شاه برسالة مخفيّة وكتاب مختوم فقيل له : ارجع فقد عرفنا ما جئت به ، فرجع وهو يظنّ أنّهم يعلمون الغيب.

قال الذهبي : إنّ الناصر كان مخدوماً من الجنّ (١).

وإذاكان السيوطي قد أوعز ذلك إلى علم الغيب ، فإنّ الناصر لا يستبعد أنّه حُبيَ بعلم يطّلع فيه على الضمائر لخصالٍ لعلّها جعلته مستحقّاً ليُتحف بهذه العلوم ، وأهمّها معرفته بآل البيت عليهم صلوات الله وسلامه ، والقيام على محبّتهم ، والاعتراف بحقّهم ، حتّى وصل به الأمر إلى أنّه يرى نفسه وكيلاً عن الإمام الحجّة عجّل الله فرجه الشريف ، وهذا يعني مدى عقيدته بالأئمّة عليهم السلام ، وصلته بهم ، وربّما أظهر الله له هذه الكرامة لمعرفته بمقام آل البيت عليهم السلام ، فضلاً عن مراعاة الطالبيّين ومداراة شيعتهم.

قال السيوطي : وكان يتشيّع ويميل إلى مذهب الإماميّة بخلاف آبائه. وفي سنة ثمانين جعل الخليفة مشهد موسى الكاظم أمناً لمن لاذ به ، فالتجأ إليه خلق.

يُعدّ الخليفة الناصر لدين الله العبّاسي نقطة تحوّل في تاريخ الخلافة العبّاسيّة ؛ إذ استطاعت أن تحرّر فكريّاً من قيود ما ورثه البيت العبّاسي من الخلاف والعداء لأئمّة آل البيت عليهم السلام ، بل يُعدّ الناصر لدين الله نقطة تحوّلٍ كذلك في تاريخ الإنسان الذي يستطيع أن يتحرّر من قيود العصبيّة إلى رحاب المعرفة ، ومن أسر الشهوةِ إلى آفاقِ العقل.



---

(١) تاريخ الخلفاء : ٤١٤.

الخليفة العبّاسي الواثق بالله

هو الخليفة الواثق بالله أبو جعفر هارون بن أبي إسحاق المعتصم بالله محمّد بن هارون الرشيد بن محمّد المهدي بن أبي جعفر المنصور.

يُعدّ الواثق العبّاسي الخليفة التّاسع أحد رجالات الثورة الفكرية الثقافية، التي أخذت على عاتقها محاولة مسيرة التصحيح للواقع الفكري الذي يعيشه المسلمون، وإذا كان الناصر والمنتصر والمعتضد العبّاسيّون أكّدوا على القراءة الجديدة لمجريات الحدث الإسلامي، فإنّ الواثق العبّاسي كانت انعطافاته الفكريّة أُصوليّة تتدخّل في صميم الرؤية الإسلاميّة الصحيحة، فقد بدأ الواثق العبّاسي ثورته الفكريّة من التوحيد؛ وذلك بنفي التشبيه الذي كان عالقاً في العقليّة الفرديّة الإسلاميّة، وقد انحدر من حيثيّات التشبيه اليهودي الذي تبنّاه كعب الأحبار، وأعانه على نشره أبو هريرة[1].

على أنّ مشكلة خلق القرآن حملت في طيّاتها توجّهاتها السياسيّة دون أن تأخذ المنحى العلمي المقرّر لها؛ لذا فإنّ القول بعدم خلق القرآن كان توجّهاً سياسيّاً يمثّل اجتهادات الحاكم السياسي وقتذاك النابعة من فلسفة السلف، ولدوافع

---

(١) راجع ذلك في كتاب تاريخ الحديث النبوي بين سلطة النصّ ونصّ السلطة، وكتاب أبو هريرة القادم من المجهول للمؤلّف.

لا مجال لذكرها[١]، ممّا حدى بالاتّجاه المعاكس إلى أن يلتزم الرأي المقابل لهذه الفلسفة، فرفعت شعار خلق القرآن، ودعت إلى التخلّي عن خلافه، ورمي معتقده بالكفر، من هنا فإنّ أئمّة آل البيت عليهم السلام التزموا حياديّة المواقف إبّان هذه الدعوة، ودعوا شيعتهم إلى الانعزال عن الزجّ في مثل هذه الفتن التي لا تهدف لشيء بقدر ما هي تصفياتٍ لحسابات سياسيّة ومستحقّات اُسريّة عبّاسيّة.

كما أنّ فكرة الجبر السائدة إبّان عهد المعتصم، والذي كان يتبنّاها، دعت خليفته الواثق العبّاسي إلى معاقبة معتنقها، وكون الجبر فكرة تدعو إلى الكفر والحياد عن الحقّ، ممّا حدى بالواثق إلى معاقبة أهل الجبر واتّهامهم بالكفر،

---

(١) تتلخّص نظرية أهل السلف بعدم خلق القرآن، بأنّ القرآن هو كلام الله تعالى، وكلامه عين ذاته لا شيئاً زائداً على ذاته، وإذا كان الأمر كذلك فإنّ ذاته قديمة بقدمه، وكلامه كعلمه وقدرته فهي عين ذاته وكلامه وهو القرآن عين ذاته، وليس زائداً على ذاته. نعم، الذي نقرأه ونكتبه من القرآن هو مخلوق، فالأعراض مخلوقة، أمّا القرآن نفسه فهو ليس بمخلوق. هذه هي نظرية من قال بعدم خلق القرآن، أمّا الذين قالوا بخلقه فإنّ الحوادث التي جرت وذُكرت في القرآن مقتضى ذكرها أن تكون حادثة، وكلّ حادثٍ مخلوق، فالقرآن مخلوق، فقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ سورة المجادلة: الآية ١ يقتضي أن يكون القرآن إخباراً لتلك الحادثة، ولكلّ الحوادث التي تحدّث عنها القرآن. أمّا موقف أئمّة أهل البيت عليهم السلام من ذلك فإنّهم أغلقوا الطريق على هذه النزاعات العقيمة التي لم تُغيّر من الواقع العلمي والثقافي للأُمّة بقدر ما هي مناورات سياسيّة حاول الحكّام تصفية حساباتٍ لمعارضة معيّنة. ولم يكن أهل البيت عليهم السلام ليزجّوا الأُمّة بمثل هذا الصراع العقيم، فكانوا يجيبون من يسألهم عن خلق القرآن: القرآن كتاب الله. ولا يزيدوا على ذلك شيء حتّى أغلقوا الطريق على مثل هذه النزاعات العقيمة التي تُلهي الأُمّة عن مسيرتها ونموها؛ لذا عمدت الأنظمة السياسيّة، ومن ورائها توجّهاتٍ فكريّة، إلى إشغال الأُمّة عن قضاياها المهمّة، وعن التفكير الجدّي في مناحي الحياة العلميّة والفكريّة الجادّة.

وهدر دمائهم وقتلهم ، كما أنّه حارب التشبيه وطارد أهل التجسيم ، معتقداً خلافهما ، أي يذهب في ذلك إلى ما يذهب إليه الإماميّة من نفي الشتبيه ونفي الجبر.

قال السيوطي : وفي سنة إحدى وثلاثين ورد كتابه إلى أمير البصرة يأمره أن يمتحن الأئمّة والمؤذّنين بخلق القرآن ، وكان قد تبع أباه في ذلك ، ثمّ رجع في آخر عمره.

قال السيوطي : وفي هذه السنة قتل أحمد بن نصر الخزاعي ، وكان من أهل الحديث ، قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أحضره من بغداد إلى سامراء مقيّداً وسأله عن القرآن ، فقال : ليس بمخلوق ، وعن الرؤية في القيامة فقال : كذا جاءت الرواية ، وروى له الحديث ، فقال الواثق له : تكذب ، فقال للواثق : بل تكذب أنت ، فقال : ويحك ، يرى كما يرى المحدود المتجسّم ويحويه مكان ويحصره الناظر ؟ إنّما كفرت بربّ صفته ما تقولون فيه ؟ فقال جماعة من فقهاء المعتزلة الذين حوله : هو حلال الضرب ، فدعا بالسيف ، فقال : إذا قمت فلا يقومنّ أحد معي ، فإنّي احتسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد ربّاً لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها ، ثمّ أمر بالنطع فأجلس عليه وهو مقيّد ، فمشى إليه ، فضرب عنقه ، وأمر بحمل رأسه إلى بغداد ، فصلب بها ، وصلبت جثّته في سرّ من رأى ، واستمر ذلك ستّ سنين إلى أن ولي المتوكّل ، فأنزله ودفنه. ولمّا صلب كتب ورقة وعلّقت في أذنه فيها : هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك ، دعاه عبدالله الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه ، فأبى إلّا المعاندة ، فعجّله الله إلى ناره ، ووكّل بالرأس من يحفظه ويصرفه عن القبلة برمح[١].

---

(١) تاريخ الخلفاء ـ السيوطي : ٣١٥.

أي اهتمّ الواثق العبّاسي بالمنحى الكلامي ، وتشدّد في التزام المدرسة الإماميّة في الكلام ومذهبها في الاعتقاد ، حتّى بدى ذلك على تعامله مع العلويّين معترفاً يحيى بن أكثم بإحسانه لآل أبي طالب ورعايته لهم ، فقال : ما أحسن أحد إلى آل أبي طالب ما أحسن إليهم الواثق ، ما مات وفيهم فقير[١].

على أنّ الواثق يذكّرنا بالمأمون العبّاسي اعتقاداً وعملاً ، ولعلّ الواثق قد تأثّر بالمنحى الكلامي الذي انتهجه المأمون العبّاسي فقد كان المأمون ينحى منحى المدرسة الإماميّة الكلاميّة ، فضلاً عن حسن تعامله مع العلويّين ، ولعلّ نصّ الصولي يوقفنا على حقيقةٍ مهمّة ، وهي تربية المأمون للواثق ورعايته واختصاصه به ، بل لعلّ المأمون العبّاسي رأى توجّهات الواثق منذ شبابه فقرّبه وخصّه وعظّمه وقدّمه على ولده ، وهذا نصّ الصولي : كان الواثق يسمّى بالمأمون الأصغر لأدبه وفضله ، وكان المأمون يعظّمه ويقدّمه على ولده[٢].

وتقديم المأمون للواثق على ولده يفيدنا أنّ المأمون قد اكتشف مذهب الواثق الاعتقادي ، وتوجّهاته الكلاميّة التي تتّفق ورؤية المأمون العدليّة في الاعتقادات ، ممّا دعى المأمون إلى الاهتمام به وتقريبه إليه ، وهذه قرينة مهمّة على تشيّع الواثق واعتقاده ، وقد تقدّم الكلام في مذهب المأمون العبّاسي.

على أنّ الواثق يعترف بمقام الإمام عليّ بن محمّد الهادي عليه السلام ، فهو إذا عنّت لديه مسألةٌ علميّة بعث إلى الإمام لمعرفتها اعترافاً منه بإمكانيّة الإمام وأهل بيته ، ولعلّ الحادثة التالية تشهد لذلك.

حكى الشيخ يوسف بن حاتم الشامي في الدرّ النظيم ، والسيوطي في الدرّ

---

(١) تاريخ الخلفاء ـ السيوطي : ٣١٦.

(٢) المصدر المتقدّم : ٣١٧.

المنثور عن تاريخ الخطيب، وهو عن محمّد بن يحيى، أنّه قال: قال يحيى بن أكثم في مجلس الواثق والفقهاء بحضرته: مَن حلق رأس آدم حين حجّ؟ فتعالى القوم عن الجواب، فقال الواثق: أنا أحضركم من ينبئكم الخبر، فبعث إلى عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، فأُحضر، فقال: يا أبا الحسن من حلق رأس آدم؟ فقال: سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلّا أعفيتني، قال: أقسمت عليك لتقولنّ، قال: أما إذا أبيت فإنّ أبي حدّثني عن جدّي، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسول الله ﷺ: أُمر جبرئيل أن ينزل بياقوتة من الجنّة فهبط بها، فمسح بها رأس آدم فتناثر الشعر منه، فحيث بلغ نورها صار حرماً[1].

واستعفاء الإمام الهادي عليه السلام يُشعر أنّ سؤال الإمام عليه السلام بحضور فقهاء الدولة يعني أنّ تقدّماً سيحرزه الإمام عليه السلام على المستوى الرسمي، أي إقرار الواثق العبّاسي بأنّ المسألة لا يُجيب عليها إلّا الإمام عليه السلام يُشير إلى اعترافٍ بأعلميّته وتقدّمه على من سواه، خصوصاً إذا كان الخليفة قد تبنّى ذلك، وهو إقرار بمشروعيّة الإمام عليه السلام، وإمكانيّاته العلميّة الفائقة، وهذا يوجب من ناحية أُخرى حسد هؤلاء الفقهاء فيدبّروا للإمام عليه السلام مكائدهم المعروفة من قبل، كما كان الأ«ر مع الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليهما السلام ـ والد الإمام الهادي عليه السلام ـ حيث سأله المعتصم بحضور فقهاء الدولة، ومنهم القاضي يحيى بن أكثم، في مسألة اضطربوا في جوابها، فأجاب الإمام الجواد عليه السلام، فأخذ الخليفة بإجابته وأشاد بها، ممّا دعى الفقهاء إلى الوشاية والسعي لتصفية الإمام الجواد عليه السلام ليخلو لهم الجوّ في حضرة البلاط العبّاسي؛ لذا فاستعفاء الإمام الهادي عليه السلام يعكس مدى التوتّر الذي يسود

---

(١) منتهى الآمال ٢: ٥٩٤.

جوّ البلاط العبّاسي بفقهائه وقضاته الذين يخشون من تقدّم الإمام الهادي عليه السلام وتعريتهم بعد ذلك، واقصائهم من منصابهم.

ويشهد لذلك ما رواه ابن شهرآشوب في مناقبه حينما وردت أجوبة الإمام الهادي عليه السلام حين سأله ابن السكّيت بأمر المتوكّل، فلمّا قرءا أجوبة الإمام عليه السلام غاض ذلك يحيى بن أكثم، وقال للمتوكّل: ما تحبّ أن تسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسائلي هذه، وأنّه لا يرد عليه شيء بعدها إلّا دونها، وفي ظهور علمه تقوية للرافضة[١].

هذا ما كان يحذره فقهاء البلاط من توهّج ذكر الإمام عليه السلام وتألّقه في كلّ المعارف ممّا يؤدّي بمناصب هؤلاء، ويحدّد كياناتهم ووجوداتهم.

قال أبو الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبيّين: لا نعلم أحداً قُتل في أيّامه، إلّا أنّ عليّ بن محمّد بن حمزة ذكر أنّ عمرو بم نيع، قتل عليّ بن محمّد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين، ولم يذكر السبب في ذلك، فحكيناه عنه على ما ذكره، فقتل في الواقعة التي كانت بين محمّد بن ميكال ومحمّد بن جعفر هذا بالريّ.

وكان آل أبي طالب مجتمعين بسرّ من رأى في أيّامه، تدور الأرزاق عليهم، حتّى تفرّقوا في أيّام المتوكّل[٢].

وفي الفخري: ولمّا توفّي المعتصم وجلس الواثق في الخلافة أحسن إلى النّاس، واشتمل على العلويّين، وبالغ في إكرامهم، والإحسان إليهم، والتعهّد لهم بالأموال[٣].

---

(١) مناقب آل أبي طالب ـ ابن شهرآشوب ٤: ٤٣٧.

(٢) مقاتل الطالبيّين ـ أبوالفرج الاصفهاني: ٤٧٦.

(٣) الفخري: ٢١٣.

وهب بن عبدالله الكلبي النصراني شهيد الطفّ

قال المجلسي في البحار: أنّ وهب هذا كان نصرانيّاً فأسلم هو وأُمّه على يدي الحسين، فقتل في المبارزة أربعة وعشرين راجلاً، واثنى عشر فارساً، ثمّ أُخذ أسيراً، فأُتي به عمر بن سعد، فقال: ما أشدّ صولتك؟!

ثمّ أمر فضُربت عنقه ورمي برأسه إلى عسكر الحسين عليه السلام، فأخذت أُمّه الرأس فقبّلته، ثمّ رمت بالرأس إلى عسكر بن سعد، فأصابت به رجلاً فقتلته، ثمّ شدّت بعمود الفسطاط فقتلت رجلين، فقال لها الحسين عليه السلام: ارجعي يا أُمّ وهب، أنت وابنك مع رسول الله، فإنّ الجهاد مرفوع عن النساء، فرجعت وهي تقول: إلٰهي، لا تقطع رجائي، فقال لها الحسين عليه السلام: لا يقطع الله رجاكِ يا أُمّ وهب[1].

ووهب بن عبدالله الكلبي هو غير عبدالله بن عمير الكلبي، ولنا تحقيق حول تعدّد الرجلين في كتابنا أنصار الحسين عليه السلام، فراجع هناك.



---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٧.

هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص الزهري

الملقّب بالمرقال (ابن عمّ عمر بن سعد قاتل الحسين عليه السلام)

عدّه الشيخ من أصحاب أمير المؤمنين بقوله : هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص المرقال ، سمّي المرقال لأنّه كان يرقل في الحرب ، وكان صاحب رايته ليلة الهرير . .كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله . نزل الكوفة وكان من الفضلاء الأخيار ، وكان من الأبطال ، وفقئت عينه يوم اليرموك ، وكان خيّراً فاضلاً . شهد مع عليّ عليه السلام الجمل وشهد صفّين ، وأبلى بلاءً حسناً ، وبيده كانت راية عليّ عليه السلام على الرجّالة يوم صفّين . .وفي أسد الغابة أنّه الذي فتح جلولاء من بلاد الفرس ، وهزم الفرس ، وكانت جلولاء تسمّى فتح الفتوح ، بلغت غنائمها ثمانية عشر ألف[1] .

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفّين : لمّا أراد عليّ عليه السلام المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : «أمّا بعد ، فإنّكم ميامين الرأي ، مراجيح الحِلم ، مقاويلٌ بالحقّ ، مباركو الفعل والأمر ، وقد أردنا المسير إلى عدوّنا وعدوّكم ، فأشيروا علينا برأيكم؟ » .

فقام هاشم المرقال بن عتبة بن أبي وقّاص ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثمّ قال : أمّا بعد يا أمير المؤمنين ، فأنا بالقوم جدٌّ خبير ، هم لك ولأشياعك أعداء ،

---

(١) تنقيح المقال ٣ : ٢٨٨ .

وهم لمن يطلب حرث الدنيا أولياء، وهم مقاتلوك ومجاهدوك لا يُبقون جهداً؛ مشاحة على الدنيا، ضنّاً بما في أيديهم منها، وليس لهم إربةٌ غيرها، إلّا ما يخدعون به الجهّال من الطلب بدم عثمان بن عفّان، كذبوا ليسوا بدمه يثأرون، ولكن الدنيا يطلبون. فسر بنا إليهم، فإن أجابوا إلى الحقّ فليس بعد الحقّ إلّا الضلال، وإن أبوا إلّا شقاق فذلك الظنّ بهم. والله ما أراهم يبايعون وفيهم أحدٌ ممّن يطاع إذا نهى ولا يُسمع إذا أمر(١).

وروي أيضاً: أنّ زياد بن النضر الحارثي قال لعبدالله بن بُديل بن ورقاء: إنّ يومنا ويومهم ليومٌ عصيب، ما يصير عليه إلّا كلّ مشيَّع القلب، صادق النيّة، رابط الجأش. وأيم اللهِ، ما أظنّ ذلك اليوم يُبقي منّا ومنهم إلّا الرُّذّال. قال عبدالله بن بُديل: والله! أظنّ ذلك. فقال عليّ: «ليكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركما، لا تُظهراه ولا يسمعه منكما سامع، إنّ الله كتب القتل على قومٍ والموتَ على آخرين، وكلّ آتيه منيتهُ كما كتب الله له. فطوبى للمجاهدين في سبيل الله، والمقتولين في طاعته».

فلمّا سمع هاشم بن عتبة مقالتهم قام فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: سر بنا يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وعملوا في عباد الله بغير رضا الله، فأحلّوا حرامه، وحرّموا حلاله، واستولاهم الشيطان، ووعدهم الأباطيل، ومنّاهم الأماني، حتّى أزاغهم عن الهدى، وقصد بهم قصد الردى، وحبّب إليهم الدنيا، فهم يقاتلون على دنياهم رغبةً فيها، كرغبتنا في الآخرة، انجازَ موعود ربّنا، وأنت يا أمير المؤمنين أقرب النّاس من رسول الله ﷺ رحِماً، وأفضلُ النّاس سابقةً وقُدماً، وهم يا أمير

---

(١) صفّين ـ نصر بن مزاحم: ٩٢.

المؤمنين منك مثل الذي علمنا، ولكن كُتبَ عليهم الشقاءُ، ومالت بهم الأهواء، وكانوا ظالمين، فأيدينا مبسوطة لك بالسمع والطاعة، وقلوبنا منشرحةٌ لك ببذل النصيحة، وأنفسنا تنصرك جَذِلَةً على من خالفك، وتولّى الأمر دونك. والله ما أحبُّ أن لي ما في الأرض ممّا أقلّت، وما تحت السماء ممّا أظلّت، وأنّي واليتُ عدوّاً لك، أو عاديتُ وليّاً لك. فقال عليّ: «اللّهمّ ارزقه الشهادة في سبيلك، والمرافقة لنبيّك صلّى الله عليه وآله»[١].

قال ابن حجر في الإصابة: قتل عمّار بن ياسر وهاشم بن عتبة بيوم صفّين.

وعن أبيعبدالرحمن السلمي، قال: شهدنا صفّين مع عليّ، وقد وكّلنا بفرسه رجلين، فإذا كان من القوم غفلة حمل عليهم، فلا يرجع حتّى يخضب سيفه دماً، قال: ورأيت هاشم بن عتبة وعمّار بن ياسر يقول له: يا هاشم،

أعور يبغي أهله محلّاً ... قد عالج الموت حتّى ملّا

لا بدّ أن يغفلّ أو يُغلّا

قال: ثمّ أخذوا في وادٍ من أودية صفّين، فما رجعا حتّى قتلا.

وأخرج عبدالرزّاق عن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم: أنّ هاشماً أنشده [أي أنشد الأبيات المتقدّمة حاكياً عن نفسه رضوان الله عليه].

وقال المرزباني: لمّا جاء قتل عثمان إلى أهل الكوفة قال هاشم لأبي موسى الأشعري: تعال يا أبا موسى بايع لخير هذه الأمّة عليّ، فقال: لا تعجل، فوضع هاشم يده على الأخرى فقال: هذه لعليّ، وهذه لي، وقد بايعت عليّاً، وأنشده:

أُبايع غير مكترثٍ عليّاً ... ولا أخشى أميراً أشعريّا

---

(١) صفّين ـ نصر بن مزاحم: ١١٢.

أُبايعه واعلم أن سأُرضي بذاك الله حقّاً والنبيّا[١]

وروى الحاكم في مستدركه، عن زفر بن الحارث، قال: كنت رسول معاوية إلى عائشة رضي الله عنها في وقعة صفّين، فقالت عائشة: مَن قتل من النّاس؟ فقلت: عمّار بن ياسر، فقالت عائشة: ذاك الرأس يتبعه النّاس لدينه، قالت: ومن؟ قلت: هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص الأعور، قالت: ذاك رجل ما كادت أن تزلّ دابته[٢].

كناية عن استقامته، أي لم تزل رجله عن الحقّ.

على أنّ هاشماً هذا ابن أخ سعد بن أبي وقّاص، مات سعد ولم يبايع عليّ، وكان منعزلاً عنه، بل منحازاً إلى غيره، وحينما عاتبه عليّ عليه السلام على عدم خروجه معه قال: أعطني سيفاً يميّز بين الحقّ والباطل، منكراً أحقّيّة عليّ عليه السلام، ومشكّكاً في مشروعيّته.

وهاشم هو ابن عمّ عمر بن سعد قاتل الحسين عليه السلام، في وقعةٍ لم يأتِ بها التاريخ فضاعةً ولا بشاعة ولا وحشيّة.

وأبوه عتبة بن أبي وقّاص الزهري مات كافراً لم يسلم، وهو الذي كسر رباعية النبيّ صلى الله عليه وآله، فدعا عليه النبيّ صلى الله عليه وآله[٣].

ولم يخرج من أهل هذا البيت سوى هاشماً في ولائه لأهل بيت نبيّه، مات شهيد الولاية في صفّين رضوان الله عليه.

---

(١) الإصابة ٣: ٥٩٣.

(٢) المستدرك ـ الحاكم النيسابوري ٣: ٤٤٦ ـ كتاب معرفة الصحابة (في مناقب هاشم بن عتبة).

(٣) المصدر المتقدّم: ١٦١.

هند بنت عبدالله بن عامر بن كريز

(امرأة يزيد بن معاوية)

روى الخوارزمي في مقتله أنّ هند بنت عبدالله بن عامر بن كريز امرأة يزيد ، حيث رأت رأس الحسين عليه‌السلام ، خرجت وهي حاسرة ، فوثبت على يزيد وقالت : أرأس ابن فاطمة مصلوب على باب داري ؟ فغطّاها يزيد وقال : نعم ، فاعولي عليه يا هند[1].

فموقف هند هذه موقفاً رائعاً كشفت من خلاله تزييف الحقّ الذي ارتكبه يزيد.



(١) مقتل الخوارزمي ٢ : ٨١، وراجع مقتل السيّد المقرّم : ٣٥٥.

المصادر

إبصار العين .... الشيخ محمّد السماوي

أبو هريرة القادم من المجهول........................ المؤلّف

الاحتجاج .... الطبرسي

الإصابة في تمييز الصحابة .... ابن‌حجر

أعيان الشيعة .... السيّد محسن الأمين العاملي

الأغاني .... أبو الفرج الاصفهاني

بحار الأنوار........................ العلّامة المجلسي

البداية والنهاية........................ ابن‌كثير

البدء والتاريخ .... المقدسي

تاريخ بغداد........................ الخطيب‌البغدادي

تاريخ الحديث النبوي بين سلطة النصّ ونصّ السلطة..... المؤلّف

تاريخ الخلفاء .... السيوطي

تاريخ الطبري........................ ابن‌جرير الطبري

تاريخ مختصر الدول .... ابن‌العبري

تاريخ اليعقوبي........................ اليعقوبي

تنقيح المقال .... المامقاني

تهذيب التهذيب .... ابن‌حجر

حياة الحيوان .... الدميري

دلائل الإمامة........................ أبوجعفر الطبري

الروضة الفيحاء في أخبار النساء............. ياسين الموصلي
شرح نهج البلاغة .... ابن أبي الحديد
صفّين .... نصر بن مزاحم
الصواعق المحرقة .... ابن حجر
طبقات أعلام الشيعة .... الشيخ آقا بزرگ الطهراني
العقد الفريد .... ابن عبد ربّه الأندلسي
الفخري .... المروزي العلوي
الكامل في التاريخ.......................... ابن الأثير
اللهوف .... ابن طاووس
مثير الأحزان .... ابن نما الحلي
محاضرات تاريخ الأُمم الإسلاميّة .... محمّد الخضري بك
مروج الذهب........................... المسعودي
المستدرك على الصحيحين .... الحاكم النيسابوري
معجم رجال الحديث.................. أبو القاسم الخوئي
مقاتل الطالبيّين .... أبو الفرج الاصفهاني
مقتل الحسين عليه السلام .... السيّد عبد الرزّاق المقرّم
مقتل الإمام الحسين عليه السلام........................ الخوارزمي
مناقب آل أبي طالب .... ابن شهرآشوب
المنتظم .... البحراني
منتهى الآمال....................... الشيخ عبّاس القمّي
الموفقيّات.......................... الزبير بن بكّار
نسمة السَّحر بذكر من تشيّع وشعر.......... اليماني الصنعاني
ينابيع المودّة.......................... القندوزي

المحتويات

كتب مطبوعة للمؤلّف

١ ـ موسوعة أدب المحنة

٢ ـ خلفاء المدرستين. قراءة في نصوص أهل السنّة

٣ ـ عقائد الإماميّة.. برواية الصحاح الستّة

٤ ـ ما توِّل من القرآن في شأن فاطمة الزهراءعليها السلام

٥ ـ مقامات فاطمة الزهراءعليها السلام

٦ ـ كشف البصر عن تزويج اُمّ كلثوم من عمر

٧ ـ عقيلة قريش آمنة بنت الحسين الملقّبة بسكينة

٨ ـ أبو هريرة.. القادم من المجهول

٩ ـ تاريخ الحديث النبوي.. بين سلطة النصّ ونصّ السلطة

١٠ ـ وقفوهم انّهم مسؤولون

١١ ـ عقائدنا بين السائل والمجيب

١٢ ـ الملتحقون بسفينة النجاة (الكتاب الذي بين يديك).

كتب لم تطبع

١ ـ أنصار الحسينعليه السلام

٢ ـ الولاية.. بين الشيعة وأهل السنّة

٣ ـ محاولات تأسيسيّة في تأصيل النهج